(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

المنار

١٣١٥

(يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الالباب)

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

٢٩ شوال سنة ١٣٤٤ هـ ٢١ برج الثور سنة ١٣٠٥ هـ ش ١٣ مايو سنة ١٩٢٦



(وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ، إن ربك لسريع العقاب ، وإنه لغفور رحيم (١٦٧) وقطعنهم في الأرض أمما ، منهم الصلحون ومنهم دون ذلك ، وبلونهم بالحسنت والسيئات لعلهم يرجعون (١٦٨) فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ، ألم يؤخذ عليهم ميثق الكتب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه ، والدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون (١٦٩) والذين يمسكون بالكتب وأقاموا الصلوة إنا لا نضيع أجر المصلحين (١٧٠) وإذ

نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (١٧١)

هذه الآيات خاتمة قصة بني اسرائيل في هذه السورة ، وما سيأتي من نبأ الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها مثل عام ليس فيه مايدل على أنه كان منهم كما روي عن بعض المفسرين فهو لايدخل في قصتهم ، ومناسبة هذه لما قبلها مباشرة أنها بيان لجريان سنة الله العامة في عقاب الأمم وانطباقها على اليهود عامة ، بعد بيان عقابه تعالى لطائفة منهم قال عز وجل :

﴿ وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ﴾ تأذن صيغة تفعل من الايذان ، وهو الاعلام الذي يبلغ فيدرك بالآذان ، ويتضمن هنا تأكيد القسم ، ومعنى العهد المكتوب الملتزم ، بدليل مجيء لام القسم ونون التوكيد في جوابه [illegible] العام إذ أطلع ربك هؤلاء القوم المرة بعد المرة أنه قد قضى في علمه وكتب على نفسه ، وفاقاً لما أقام عليه نظام الاجتماع البشري من سننه ليبعثن وليسلطن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، أي يريده ويوقعه بهم عقابا على ظلمهم وفسقهم وفسادهم ، وهو مجاز من سوم الشيء ، كما يقال سامه خسفاً . وسوء العذاب مايسوء صاحبه ويذله ، وهو هنا سلب الملك ، وإخضاع القهر

ومصداق هذا وتفصيله على ما قررنا قوله تعالى في أول سورة الاسراء (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً — الى قوله — وليتبروا ماعلوا تتبيراً) ثم قال (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا) الآية أي وإن عدتم بعد عقاب المرة الآخرة الى الافساد ، عدنا إلى التعذيب والاذلال ، وقد عادوا فسلط الله عليهم النصارى فسلبوا ملكهم الذي أقاموه بعد نجاتهم من السبي البابلي ، وقهروهم واستذلوهم ، ثم جاء الاسلام فعاداه منهم الذين كانوا هربوا من القتل والتنكيل ولجؤا إلى بلاد العرب فعاشوا فيها أعزاء آمنين ، ولم يفوا للنبي (ص) بما عاهدهم عليه فأمنهم على

أنفسهم وأموالهم وحرية دينهم ، بل غدروا به وكادوا له ، ونصروا المشركين عليه ، فسلطه الله عليهم فقاتلهم فنصره عليهم ، فأجل بعضهم ، وقتل بعضاً ، وأجلى عمر من بقي منهم ، ثم فتح عمر سورية بعضها بالصلح كبيت المقدس ، وبعضها عنوة ، فصار اليهود من سيادة الروم الجائرة القاهرة فيها الى سلطة الاسلام العادلة ، ولكنهم ظلوا أذلة بفقد الملك والاستقلال . وقد بينا حقيقة حالهم ، وما يحاولونه من استعادة ملكهم في هذا الزمان في غير هذا الموضع من هذا التفسير ، وفي مواضع من المنار

﴿ إن ربك لسريع العقاب ﴾ للأمم التي تفسق عن أمره وتفسد في الأرض فلا يتخلف عقابه عنها كما يتخلف عن بعض الأفراد (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها — فحق عليها القول — فدمرناها تدميراً) أي أمرناهم بالحق والعدل ، والرحمة والفضل ، فعصوا وفسقوا عن الأمر ، وأفسدوا وظلموا في الأرض ، فحق عليهم القول بمقتضى سننه تعالى في الخلق ، فحل بهم الهلاك عن الفور

﴿ وإنه لغفور رحيم ﴾ لمن تاب عقب الذنب ، وأصلح ما كان أفسد في الارض ، قبل أن يحق عليه القول (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) وهذا كما قال في اليهود بعد ذكر إفسادهم مرتين (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا) وقلما ذكر الله عذاب العاصين المفسدين ، الا وقرنه بذكر المغفرة والرحمة للتائبين المحسنين ، حتى لا ييأس صالح مصلح من رحمته بذنب عمله بجهالة ، ولا يأمن مفسد من عقابه اغترارا بكرمه وعفوه وهو مصر على ذنبه ، ثم بين تعالى كيف كان بدء إذلال اليهود بإزالة وحدتهم ، وتمزيق جامعتهم

قال ﴿ وقطعناهم في الأرض أمما ﴾ أي وفرقناهم في الأرض حال كونهم أمما

التقدير ، أو صيرناهم أمما متقطعة ، بعد أن كانوا أمة متحدة ﴿ منهم الصالحون ﴾ كالذين نهوا الذين اعتدوا في السبت عن ظلمهم ، والذين كانوا يؤمنون بأنبياء الله تعالى فيهم من بعد موسى الى عهد عيسى عليهم السلام ، والذين آمنوا بمحمد

خاتم النبيين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿ومنهم دون ذلك﴾ ومنهم ناس دون وصف الصلاح لم يبلغوه ، وهم درجات أو دركات، منهم الغلاة في الكفر والفسق ، كالذين كانوا يقتلون النبيين بغير حق ، ومنهم السماعون للكذب الأكالون للسحت ، الى غير ذلك مما هو شأن الأمم الفاسدة في كل عصر ، تفسد بالتدريج لادفعة واحدة كما نراه في أمتنا الاسلامية

﴿ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴾ أي امتحناهم ، وبلونا سرائرهم واستعدادهم ، بالنعم التي تحسن ، وتقر بها الأعين ، وبالنقم التي تسوء صاحبها ، وربما حسنت بالصبر والانابة عواقبها ، رجاء أن يرجعوا عن ذنبهم ، وينيبوا الى ربهم ، فيعود برحمته وفضله عليهم

﴿ فخلف من بعدهم خلف ﴾ أي تخلف من بعد أولئك الذين كان فيهم الصالح والطالح ، والبر والفاجر ، خلف سوء وبدل شر ، قيل : إن الخلف بسكون اللام يغلب في الأشرار ، وإنما غلب في الأخيار خلف بالتحريك

كسلف ﴿ ورثوا الكتاب ﴾ الذي هو التوراة عنهم ، وقامت الحجة به عليهم ، فماذا كان شأنهم ؟ الجواب ﴿ يأخذون عرض هذا الأدنى ﴾ أي يأخذون عرض هذا الشيء الأدنى ، أي هذا الحطام الحقير من متاع الدنيا ، والمراد به ما كانوا يأكلونه من السحت والرشى ، والاتجار بالدين والمحاباة في الحكم والفتوى

﴿ ويقولون سيغفر لنا ﴾ أي سيغفر الله لنا ، ولا يؤاخذنا بما أذنبنا ، فانا شعبه الخاص ، وسلائل أنبيائه ، ونحن أبناؤه وأحباؤه ، وما هذه الاقوال الا أماني ، وغرور وأوهام ، قال ابن كثير ، وقال مجاهد : هم النصارى ، وقد يكون أعم من ذلك اه وكل من القولين ينافيه مقتضى السياق ، فأوائل النصارى كانوا صالحين ، وسابق الكلام ولاحقه في اليهود وحدهم ﴿ وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴾ أي يقولون ذلك والحال أنهم مصرون على ذنبهم

إن يأتهم عرض آخر مثل الذي أخذوه أولا بالباطل يأخذوه لا يتعففون عنه وإنما وعد الله في كتبه بالمغفرة للتائبين الذين يتركون الذنوب ندما وخوفا من الله ورجاء فيه، ويصلحون ما كانوا أفسدوا، كما تكرر في القرآن، ومنه في سياق قصة موسى مع بني اسرائيل خطاباً لهم من سورة طه (واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

وقد ردَّ الله تعالى عليهم زعمهم بقوله (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق) الاستفهام التقرير، أي قد أخذ عهد الله وميثاقه في كتابه بأن لا يقولوا عليه غير الحق الذي بينه فيه، فما بالهم يجزمون بأن الله سيغفر لهم مع اصرارهم على ذنوبهم على خلاف ما في الكتاب (ودرسوا ما فيه) أي من تحريم أكل أموال الناس بالباطل والكذب على الله كقولهم إنه سيغفر لهم وغير ذلك، وما أخذ عليهم من العهود والمواثيق في العمل بكتابه كما في آخر سفر تثنية الاشتراع

(والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ?) أي والدار الآخرة وما أعده الله فيها للذين يتقون الرذائل والمعاصي خير من الحطام الفاني من عرض الدنيا بالرشوة والسحت وغير ذلك، أفلا تعقلون ذلك وهو ظاهر جلي لا يخفى على عقل لم يطمسه الطمع الباطل، في الحطام العاجل، فترجحون الخير على الشر، والنعيم العظيم الدائم، على المتاع الحقير الزائل، وقد علم من الآية ان الطمع في متاع الدنيا هو الذي استحوذ على بني اسرائيل فأفسد عليهم أمرهم، ولا يزال هذا التفاني فيها أخص صفاتهم،

وقد سرى شيء كثير من هذا الفساد إلى المسلمين، حتى رجال الدين الذين ورثوا الكتاب الكريم، والقرآن الحكيم، ودرسوا ما فيه، غلب على أكثرهم الطمع في حطام الدنيا القليل، ورضوا الدني، والغرور بالنسبة إلى الاسلام والتحلي بلقبه، والتعلل بأماني المغفرة مع الاصرار على الذنب والاتكال على المكفرات والشفاعات، وهم يقرءون ما في الكتاب من النهي عن الأماني والأوهام، ومن

نوط الجزاء بالأعمال ، والمغفرة بالتوبة والاصلاح ، وكون الشفاعة لاتقع إلا باذن الله لمن رضي عنه كقوله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ولن يرضى الله عن فاسق ولا منافق (فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين) بل ماقص الله علينا مثل هذه الآيات من أخبار بني اسرائيل إلا لنعتبر بأحوالهم ، ونتقي الذنوب التي أخذهم بها ، ولكننا مع هذا كله اتبعنا سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، الا انا نحمد الله ان هذا الاتباع فيناغيرعام ، وانه لايزال فينا طائفة ظاهرة على الحق يطعن فيها الجماهير الذين صار الاسلام فيهم غريباً ، وقد شرحنا ذلك مراراً بل صرحت الآيات بالتحذير من اتباع أهل الكتاب في أمانيهم وفي فسقهم كقوله تعالى (ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به) الخ وقوله (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

قرأ (تعقلون) بالتاء نافع وابن عامر وابن [illegible] وأبو جعفر وسهل ويعقوب وحفص قيل إن الخطاب [illegible] بطريق الالتفات ، وقيل بل هو خطاب لهذه الأمة لتعتبر بحالهم ، وتجتنب ما كان سبباً لسوء ما لحقهم من الاصرار على سوء أعمالهم ، وقرأ الآخرون (يعقلون) على الأصل في الحكاية عن الغائبين ، ولو صح ما قيل من أن هذه الآيات نزلت وحدها في المدينة لصح أن يقال ان الخطاب موجه الى اليهود المجاورين لها ، لأنهم آخر ذلك الخلف ، الذي نزل فيه هذا الوصف في ذلك الوقت

﴿ والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لانضيع أجر المصلحين ﴾

قرأ الجمهور يمسكون بتشديد السين من مسك تمسيكا بمعنى تمسك تمسكا ، ومثله قدم بمعنى تقدم ، ومنه (لاتقدموا بين يدي الله ورسوله) وقرأ أبو بكر وحماد يمسكون بالتخفيف من الامساك . — أي والذين يستمسكون بعروة الكتاب الوثقى ويعتصمون بحبله في جميع أحوالهم وأوقاتهم ، وأقاموا الصلاة التي هي عماد الدين في أوقاتها ﴿ انا لانضيع أجر المصلحين ﴾ انا لانضيع أجرهم لأنهم هم

صلحون . والله لا يضيع أجر المصلحين ، فهو خبر قرن بالدليل ، ومثله قوله الى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع أجر من أحسن عملا)

﴿ وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم ﴾ لعل حكمة ختم مة بني إسرائيل بهذه الآية هنا التذكير بيدء حالهم في انزال الكتاب عليهم إثر بيان عاقبة أمرهم في مخالفته والخروج عنه ، فان في تلك الفاتحة اشارة الى له الخاتمة ، وذلك عند ما أخذ عليهم الميثاق ليأخذن بالشريعة بقوة وعزم فانه م فوقهم الطور وأوقع في قلوبهم الرعب من خوف وقوعه بهم ، فلاغرو اذا آل رهم الى ترك العمل به بعد طول الامد وقساوة القلوب ، والانس بالذنوب ، لد تقدم في معنى هذه الآية آيتان من سورة البقرة وأشير اليه في سورة النساء . كرنا آية الاعراف هذه في سياق تفسير آية [illegible] الأولى . والمعنى واذكر أيها سول النبي الأمي إذ نتقنا فوق هؤلاء الجبل جبل الطور أي رفعناه كما عبر به الآيات الأخرى [illegible] أو [illegible] لناه وهو مرفوع قهم مظلل لهم [illegible] منه الزبدة . الجمهور انه اقتلعه وجعله فوقهم (فان قيل) لو كان الامر كذلك لكان ظلة بالفعل كالظلة ، فان الظلة كل ما أظلك من فوقك ، ويصدق رفع الجبل فوقهم كالظلة جودهم في سفحه واستظلالهم به (قلنا) أنه وإن صح هذا التأويل فان رفع الجبل الوجه الاول إنما كان لاخافتهم لا لاظلالهم وأما ظنهم أنه واقع بهم فانما جاء زلزلته واضطرابه ، على أن الله تعالى قادر على قلعه وجعله فوقهم وكم رأوا من باته ماهو أدل على قدرته تعالى من ذلك

﴿ خذوا ما آتيناكم بقوة ﴾ وقلنا لهم في تلك الحالة : خذوا ما أعطيناكم من كم الشريعة بقوة عزيمة وعزم على احتمال مشاقه ﴿ واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴾ ، واذكروا ما فيه من الاحكام أوامرها ونواهيها ، أو اعملوا به لئلا سوه — فان ذلك يعدكم للتقوى ويجعلها مرجوة لكم ، فان الجد وقوة العزم اقامة الدين يهذب النفس ويزكيها ، والتهاون والانغماس فيه يدسيها ويغويها لد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها)

وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ? قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون (١٧٤)

هذه الآيات بدء سياق جديد في شؤون البشر العامة المتعلقة بهداية الله لهم بما أودع في فطرتهم وركب في عقولهم من الاستعداد للإيمان به وتوحيده وشكره ، في إثر بيان هدايته لهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب في قصة بني إسرائيل ، فالمناسبة بين هذا وما قبله ظاهرة وهو لذلك عطف عليه عطف جملة على جملة ، أو سياق على سياق ، قال تعالى

(وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الظهور جمع ظهر وهو العمود الفقري هيكل الإنسان الذي هو قوام بنيته ومركز النخاع الشوكي الذي عليه مدار حياته ، فيصح أن يعبر به عن جملة وجوده الجسدي الحيواني ، والذرية سلالة الانسان من الذكور والاناث . قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب (ذرياتهم) بالجمع والباقون بالإفراد ، ومعناهما واحد فإن المفرد المضاف يفيد العموم ، ورسمها في المصحف الامام واحد ، وقوله (من ظهورهم) بدل من بني آدم بمعناه والجمهور على أنه بدل البعض من الكل ، وهو الظاهر اذا لم يرد بهذا البعض ذلك الكل ، وقال أبو البقاء هو بدل اشتمال

والمعنى واذكر أيها الرسول في إثر ذكر أخذ ميثاق الوحي على بني إسرائيل خاصة ، ما أخذه الله من ميثاق الفطرة والعقل على البشر عامة ، اذ استخرج من بني آدم ذريتهم بطناً بعد بطن ، فخلقهم على فطرة الاسلام ، وأودع في أنفسهم غريزة الايمان ، وجعل من مدارك عقولهم الضرورية أن كل فعل لابد له من فاعل ، وكل حادث لابد له من محدث ، وأن فوق كل العوالم الممكنة القائمة على سنة الأسباب والمسببات ، والعلل والمعلولات ، سلطانا أعلى على

جميع الكائنات ، هو الاول والآخر ، هو المستحق للعبادة وحده ، — وقد بسطنا هذه المسألة — وهذا معنى قوله تعالى ﴿ واشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ﴾ أي أشهد كل واحد من هذه الذرية المتسلسلة على نفسه بما أودعه في غريزته واستعداد عقله قولا قول إرادة وتكوين ، لا قول وحي وتلقين ، ألست بربكم ؟ فقالوا كذلك بلغة الاستعداد ولسان الحال ، لا بلسان المقال : بلى أنت ربنا والمستحق وحده لعبادتنا . فهو من قبيل قوله تعالى بعد ذكر خلق السماء (فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) وهذا النوع من التعبير والبيان يسمى في عرف علماء البلاغة بالتمثيل ، وهو أعلى أساليب البلاغة وشواهده في القرآن وكلام البلغاء كثيرة .

ثم بيّن سبحانه سبب هذا الاشهاد وعلته فقال :

﴿ أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ أى فعلنا هذا منعا لاعتذاركم أو احتجاجكم يوم القيامة بأن تقولوا [illegible] به : انا كنا غافلين عن هذا [illegible] الالهية بعبادة الرب وحده والمراد انه تعالى لا يقبل منهم الاعتذار بالجهل

﴿ أو تقولوا : إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم ﴾ جاهلين ببطلان شركهم ، فلم يسعنا الا الاقتداء بهم ﴿ أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ باختراع الشرك فتجعل عذابنا كعذابهم ، مع عذرنا بتحسين الظن بهم ، والمراد أن الله تعالى لا يقبل منهم الاعتذار بتقليد آبائهم وأجدادهم ، كما أنه لم يقبل منهم الاعتذار بالجهل ، بعد ما أقام عليهم من حجة الفطرة والعقل

﴿ وكذلك نفصل الآيات لعلهم يرجعون ﴾ أي ومثل هذا التفصيل البليغ نفصل لبني آدم الآيات والدلائل ليستعملوا عقولهم ، ولعلهم يرجعون بها عن جهلهم وتقليدهم والآيات تدل على ان من لم تبلغه بعثة رسول لا يعذر يوم القيامة بالشرك بالله تعالى ولا بفعل الفواحش والمنكرات التي تنفر منها الفطرة السليمة ،

وتدرك ضررها وفسادها العقول المستقلة ، وانما يعذرون بمخالفة هداية الرسل فيما شأنه أن لا يعرف الا منهم . وهو أكثر العبادات التفصيلية

هذا مايتبادر الى الفهم من الايات لذاتها ولكن ورد في أخذ الذرية من بني آدم واشهادهم على أنفسهم أحاديث وآثار لايمكن أن تعرف إلا من خبر الوحي . وقد كانت موضوع بحث ومناقشة بين علماء المعقول والمنقول فنورد أمثل ماقالوه فيما قال الامام ابن كثير في تفسيره لهذه الاية : —

«يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم ، وأنه لاإله إلا هو ، كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة » وفي رواية « على هذه الملة فأبواه يُهوّدانه وينصرانه ويمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم » وقال الامام ابو جعفر بن جرير رحمه الله : حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن ابي الحسن حدثهم عن الأسود بن سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال : فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال : « مابال أقوام يتناولون الذرية » ؟ فقال رجل: يارسول الله أليسوا أبناء المشركين ؟ فقال « إن خياركم أبناء المشركين ، ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة ، فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها ، فأبواها يهوّدانها وينصرانها » قال الحسن : والله لقد قال الله في كتابه (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية ، وقد رواه الامام احمد عن اسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري به ، وأخرجه النسائي في سننه من حديث هشيم بن يونس

عبيد عن الحسن قال : حدثني الأسود بن سريع فذكره ، ولم يذكر قول
ن البصري واستحضاره الآية عند ذلك .

وقد وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم عليه السلام ، وتمييزهم
أصحاب اليمين وأصحاب الشمال . وفي بعضها الاستشهاد عليهم بأن الله ربهم ،
الامام احمد : حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن ابي عمران الجوني عن أنس بن مالك
ي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقال للرجل من أهل النار يوم
امة ارأيت لو كان لك ما على الارض من شيء ، أكنت مفتديا به ? قال : فيقول
فيقول : قد أردت منك أهون من ذلك ، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن
تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير –
ي – ابن حازم عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي
ى الله عليه وسلم قال « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم
ة ، أخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال: ألست
كم ? قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا –
قوله – المبطلون » وقد روى هذا الحديث النسائي في كتاب التفسير من سننه
محمد بن عبد الرحيم عن صاعقة عن حسين بن محمد المروزي به ، ورواه ابن
ير وابن أبي حاتم من حديث حسين بن محمد به ، الا أن ابن ابي حاتم جعله
وفا ، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث حسين بن محمد وغيره عن
ير بن حازم عن كلثوم بن جبير به وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقد
تج مسلم بكلثوم بن جبير هكذا قال ، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن
و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه ، وكذا رواه اسماعيل بن علية
كيع عن ربيعة بن كلثوم عن جبير عن أبيه به ، وكذا رواه عطاء بن السائب
بيب بن ابي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله ،
ذا رواه العوفي وعلي بن ابي طلحة عن ابن عباس فهذا أكثر وأثبت والله أعلم
ل ابن جرير: حدثنا ابن وكيع حدثنا ابي عن ابي هلال عن ابي حمزة الضبعي

عن ابن عباس قال : أخرج الله ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذيّ من الماء . وقال أيضاً : حدثنا علي بن سهل حدثنا ضمرة بن ربيعة حدثنا ابو مسعود عن جويبر : مات ابن الضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال : فقال ياجابر اذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده ، فان ابني مجلس ومسئول ، ففعلت الذي به أمر ، فلما فرغت قلت يرحمك الله عمّ يُسأل ابنك ؟ من يسأله اياه ؟ قال : يُسأل عن الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم ، قلت : يا أبا القاسم وما هـذا الميثاق الذي أقرّ به في صلب آدم ؟ قال : حدثني ابن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبـدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وتكفل لهم بالأرزاق ثم أعادهم في صلبه فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه الميثاق الأول ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة . فهذه الطرق كلها مما تقوي وقف هذا على ابن عباس والله أعلم

(حديث آخر) قال ابن جرير : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد حدثنا احمد ابن ابي طيبة عن سفيان بن سعيد عن الأجلح عن الضحاك عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) قال « أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين » احمد بن ابي طيبة هذا هو ابو محمد الجرجاني قاضي قومس ، كان أحـد الزهاد ، أخرج له النسائي في سننه وقال : ابو حاتم الرازي يكتب حديثه ، وقال ابن عدي : حدث بأحاديث كثيرة غرائب . وقد روى هذا الحديث عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قوله ، وكذا رواه جرير عن منصور به وهذا أصح والله أعلم

(حديث آخر) قال الامام احمد : حدثنا روح هو ابن عبادة حدثنا مالك

حدثنا إسحق بن مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه
لآية (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم
لست بربكم؟ قالوا بلى) الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله
ليه وسلم سئل عنها فقال « إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه
استخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون » فقال:
ارسول الله ففيم العمل؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا خلق الله العبد
جنة استعمله بأعمال أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله
الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بأعمال أهل النار حتى يموت على عمل
ن أعمال أهل النار فيدخله النار » وهكذا رواه ابو داود عن القعنبي والنسائي
ن قتيبة، والترمذي عن إسحق بن موسى عن معن، وابن ابي حاتم عن يونس
ن عبد الأعلى عن ابن وهب وابن جرير من حديث روح بن عبادة وسعيد
ن عبد الحميد بن جعفر، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية ابي مصعب
زبيري كلهم عن الامام مالك بن أنس به قال الترمذي: وهذا حديث حسن
مسلم بن يسار لم يسمع عمر، وكذا قاله ابو حاتم وأبو زرعة، زاد ابو حاتم
بينهما نعيم بن ربيعة، وهذا الذي قاله ابو حاتم رواه ابو داود في سننه عن محمد
بن مصفى عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشي عن زيد بن أبي انيسة عن عبد
لحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن
بيعة قال: كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية (وإذ أخذ
بك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) فذكره، وقال الحافظ الدارقطني:
قد تابع عمرو بن جعثم بن زيد بن سنان ابو فروة الرهاوي، وقولهما أولى
لصواب من قول مالك والله أعلم (قلت) الظاهر أن الامام مالكا إنما أسقط
كر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه، فانه غير معروف إلا في
نذا الحديث، ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيراً
ن المرفوعات، ويقطع كثيراً من الموصولات والله أعلم

(حديث آخر) قال الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا عبد بن حميد حدثنا ابو نعيم حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أي رب من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء ذريتك ، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص عينيه قال : أي رب من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود قال : رب وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة قال : أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال: أولم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال أولم تعطها ابنك داود قال: فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته وخطىء آدم فخطئت ذريته » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي نعيم الفضل بن دكين به وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم الى أن قال « ثم عرضهم على آدم فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك ، واذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى وأنواع الأسقام فقال آدم : يارب لم فعلت هذا بذريتي ؟ قال : كي تذكر نعمتي وقال آدم: يارب من هؤلاء الذين أراهم أظهر الناس نوراً ؟ قال: هؤلاء الانبياء يا آدم من ذريتك » ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم

(حديث آخر) قال عبد الرحمن بن قتادة النصري عن أبيه عن هشام بن حكيم رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ابتدأ الاعمال أم قد قضي القضاء قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله قد أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ، ثم أفاض بهم في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ،

أهل النار ميسرون لعمل أهل النار » رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عنه

(حديث آخر) روى جعفر بن الزبير — وهو ضعيف — عن القاسم عن أبي مامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما خلق الله الخلق وقضى القضية أخذ أهل اليمين بيمينه ، وأهل الشمال بشماله ، فقال يا أصحاب اليمين فقالوا لبيك سعديك قال ألست بربكم قالوا بلى ثم خلط بينهم ، فقال قائل له يارب لم خلطت بينهم قال لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة انا كنا ن هذا غافلين ، ثم ردهم في صلب آدم » رواه ابن مردويه

(أثر آخر) قال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن بي بن كعب في قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) لآيات قال فجمعهم له يومئذ جميعاً ماهو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم م استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم (ألست ربكم قالوا بلى) الآية قال فإني أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع أشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا إله غيري ، لا رب غيري ، ولا تشركوا بي شيئاً ، وإني سأرسل لكم رسلا ينذروكم مهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي ، قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب لنا غيرك أقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر اليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن لصورة ودون ذلك فقال يارب لو سويت بين عبادك قال اني أحببت ان أشكر رأى فيهم الانبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة النبوة فهو الذي يقول تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) الآية وهو الذي قول (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله) الآية . ومن ذلك قال (هذا نذير ن النذر الأولى) ومن ذلك قال (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الاية رواه عبد الله بن الامام احمد في مسند أبيه ورواه ابن ابي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من رواية أبي جعفر الرازي به . وروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد من السلف سياقات توافق هذه الأحاديث اكتفينا بإيرادها عن التطويل في تلك الآثار كلها والله المستعان

فهذه الأحاديث دالة على أن الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة وأهل النار ، وأما الاشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس — وفي حديث عبدالله بن عمرو وقد بينا أنهما موقوفان لامرفوعان كاتقدم ، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف إن المراد بهذا الاشهاد انما هو فطرهم على التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الاسود بن سريع وقد فسر الحسن الآية بذلك قالوا : ولهذا قال (واذ أخذ ربك من بني آدم) ولم يقل من آدم (من ظهورهم)ولم يقل من ظهر ذرياتهم أي جعل نسلهم جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، كقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) وقال (ويجعلكم خلفاء الأرض) وقال (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) ثم قال وأشهدهم على أنفسهم (ألست بربكم قالوا بلى) أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالا وقالا والشهادة تارة تكون بالقول كقوله (قالوا شهدنا على أنفسنا) الآية ، وتارة تكون حالا كقوله تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك كقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد) كما أن السؤال تارة يكون بالقال وتارة يكون بالحال كقوله (وآتاكم من كل ماسألتموه) قالوا ومما يدل على أن الاشهاد حجة عليهم في الاشراك ، فلو كان قد وقع هذا كما قاله من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه ، فان قيل اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به كاف في وجوده ، فالجواب أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ماجاءتهم به الرسل من هذا وغيره ، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الاقرار بالتوحيد ، ولهذا قال (أن يقولوا) أي لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أي عن التوحيد غافلين ، أو يقولوا انما أشرك آباؤنا الآية » اه كلام ابن كثير

وقد بسط العلامة ابن القيم هذه المسألة في كتاب الروح في سياق البحث في خلق الارواح قبل الاجساد — فذكر الروايات المرفوعة والموقوفة والآثار

وما قيل من الجرح والتعديل في أسانيدها ثم قال : —

وهنا أربع مقامات (أحدها) ان الله سبحانه استخرج صورهم وأمثالهم ، شقيهم وسعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم (والثاني) ان الله سبحانه أقام عليهم جة حينئذ وأشهدهم بربوبيته واستشهد عليهم ملائكته (الثالث) ان هذا هو ير قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم (الرابع) انه تلك الأرواح كلها بعد إخراجها بمكان وفرغ من خلقها وانما يتجدد كل وقت ل جملة منها بعد جملة إلى أبدانها

(فأما المقام الأول) فالآثار متظاهرة به مرفوعة وموقوفة (وأما المقام الثاني) أخذه من أخذه من المفسرين من الآية وظنوا انه تفسيرها ، وهذا قول جمهور سرين من أهل الأثر . قال أبو اسحاق: جائز أن يكون الله سبحانه جعل لأمثال التي أخرجها فهما تعقل به كقال (قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) سخر مع داود الجبال تسبح معه والطير . وقال ابن الانباري: مذهب أهل يث وكبراء أهل العلم في هذه الآية ان الله أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب ده وهم في صور الذر ، وأخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعون ، قوا بذلك وقبلوا ، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم مل الجبل عقلا حين خوطب به كما فعل ذلك بالبعير للسجدة والنخلة حتى سمعت ادت حين دعيت

وقال الجرجاني : ليس بين قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله مسح ظهر فأخرج منه ذريته » وبين الآية اختلاف بحمد الله لأنه عز وجل إذا أخذهم ظهر آدم فقد أخذهم من ظهور ذريته لأن ذرية آدم ذرية لذريته بعضهم من ن . وقوله تعالى (ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) أي عن اق المأخوذ عليهم ، فاذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهوداً عليهم بأخذ الميثاق : وفي هذا دليل على التفسير الذي جاءت به الرواية من أن الله تعالى قال ئكة : اشهدوا فقالوا شهدنا . قال : وزعم بعض أهل العلم أن الميثاق انما أخذ الارواح دون الاجساد ، ان الارواح هي التي تعقل وتفهم ولها الثواب وعليها

العقاب ، والاجساد اموات لاتعقل ولا تفهم . قال : وكان اسحق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى ، وذكر انه قول أبي هريرة . قال اسحق : وأجمع أهل العلم انها الأرواح قبل الاجساد استنطقهم وأشهدهم ، قال الجرجاني : واحتجوا بقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) والاجساد قد بليت وضلت في الارض ، والارواح ترزق وتفرح ، وهي التي تلذ وتألم ، وتفرح وتحزن وتعرف وتنكر ، وبيان ذلك في الاحلام موجود ، ان الانسان يصبح وأثر لذة الفرح وألم الحزن باق في نفسه مما تلاقي الروح دون الجسد

قال : وحاصل الفائدة في هذا الفصل انه سبحانه قد أثبت الحجة على كل منفوس ممن يبلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم ، وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها في نفسه وفي العالم وبالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين ، وبالمواعظ بالمثلات المنقولة اليهم اخبارها ، غير انه عز وجل لايطالب أحداً منهم من الطاعة الا بقدر ما لزمه من الحجة وركب فيهم من القدرة وآتاهم من الادلة وبين سبحانه ما هو عامل في العالمين الذين ادركوا الأمر والنهي وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين الا انا نعلم انه عدل لايجور في حكمه ، وحكيم لاتفاوت في صنعه ، وقادر لايسأل عما يفعل ، له الخلق والامر ، تبارك الله رب العالمين

﴿ فصل ﴾

ونازع هؤلاء غيرهم في كون هذا معنى الآية وقالوا معنى قوله (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) أي أخرجهم وأنشأهم بعد أن كانوا نطفا في أصلاب الاباء إلى الدنيا على ترتيبهم في الوجود وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم بما أظهر لهم من آياته وبراهينه التي تضطرهم إلى أن يعلموا أنه خالقهم فليس من أحد الا وفيه من صنعة ربه مايشهد على أنه باريه ونافذ الحكم فيه ، فلما عرفوا ذلك ودعاهم كل مايرون ويشاهدون إلى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على أنفسهم بصحته كما قال في غير هذا الموضع (شاهدين على

نفسهم بالكفر) يريدهم بمنزلة الشاهدين وإن لم يقولوا نحن كفرة وكما تقول
د شهدت جوارحي بقولك تريد قد عرفته فكأن جوارحي لو استشهدت وفي
سعها أن تنطق لشهدت ، ومن هذا اعلامه وتبيينه أيضاً (شهد الله أنه لا إله إلا هو)
ريد أعلم وبين فأشبه ذلك شهادة من شهد عند الحكام وغيرهم ، هذا كلام ابن الانباري
زاد الجرجاني بيانا لهذا القول فقال حاكياً عن أصحابه إن الله لما خلق الخلق ونفذ علمه
بيهم بما هو كائن وما لم يكن بعد مما هو كائن كالكائن إذ علمه بكونه مانع من غير كونه
ايم في مجاز العربية أن يوضع ما هو منتظر بعد مما لم يقع بعد موقع الواقع لسبق
لمه بوقوعه كما قال عز وجل في مواضع من القرآن كقوله (ونادى أصحاب النار
نادى أصحاب الجنة — ونادى أصحاب الاعراف) قال فيكون تأويل قوله
وإذ أخذ ربك) وإذ يأخذ ربك وكذلك قوله (وأشهدهم على أنفسهم) أي
يشهدهم بما ركبه فيهم من العقل الذي يكون به الفهم ، ويجب به الثواب
العقاب وكل من [illegible] وفهم الوعد والوعيد
الثواب والعقاب [illegible] أن الله تعالى أخذ عليه الميثاق في التوحيد بما ركب فيه من
عقل ، وأراه من الآيات والدلائل على حدوثه ، وأنه لا يجوز أن يكون قد خلق
نسه وإذا لم يجز ذلك فلا بد له من خالق هو غيره ليس كمثله ، وليس من مخلوق
بلغ هذا المبلغ ولم يقدح فيه مانع من فهم إلا إذا حزبه أمر يفزع إلى الله عز
جل حين يرفع رأسه إلى السماء ويشير اليها بأصبعه علماً منه بأن خالقه تعالى فوقه
اذا كان العقل الذي منه الفهم والافهام مؤدياً إلى معرفة ما ذكرنا ودالا عليه
فكل من بلغ هذا المبلغ فقد أخذ عليه العهد والميثاق إذ جعل فيه السبب والادلة
الذين بهما يؤخذ العهد والميثاق ، وجائز أن يقال له قد أقر وأذعن وأسلم كما قال
لله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرهاً) قال واحتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون
حتى يفيق ، وعن النائم حتى ينتبه »

وقوله عز وجل (إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن
يحملنها وأشفقن منها) ثم قال (وحملها الانسان) الامانة هي عهد وميثاق

فامتناع السموات والارض والجبال من حمل الامانة خلوها من العقل الذي يكون به الفهم والافهام وحمل الانسان إياها لمكان العقل فيه قال والعرب فيها ضروب نظم فمنها قوله

ضمن القنان لفقعس شبابها ... ان القنان لفقعس لا يأتلي

والقنان جبل فذكر أنه قد ضمن لفقعس وضمانه لهم أنهم كانوا اذا حزبهم أمر من هزيمة أو خوف لجأوا اليه فجعل ذلك كالضمان لهم ومنه قول النابغة

كأجارف الجولان هال ربه ... وجوران منها خاشع متضائل

وأجارف الجولان جبالها وجوران الارض التي الى جانبها وقال هذا القائل ان في قوله تعالى (ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) دليلا على هذا التأويل لانه عز وجل أعلم أن هذا الأخذ للعهد عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين . والتنبيه هنا لا يخلو من أحد وجهين إما أن تكون عن يوم القيامة أو عن أخذ الميثاق أما يوم القيامة فلم يخبر سبحانه في كتابه انه أخذ عليهم عهداً وميثاقاً لمعرفة البعث والحساب وانما أخذ لمعرفته فقط وأما أخذ الميثاق فالاطفال والاسقاط ان كان هذا العهد مأخوذاً عليهم كما قال المخالف فهم لم يبلغوا بعد ما أخذ هذا الميثاق عليهم مبلغا يكون منهم غفلة عنه فيجحدونه وينكرونه فمتى تكون هذه الغفلة منهم وهو عز وجل لا يؤاخذهم بما لم يكن منهم وذكر ما لا يجوز ولا يكون محال وقوله تعالى (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فلا يخلو هذا الشرك الذي يؤاخذون به أنفسهم ان يكون منهم أو من آبائهم فان كان منهم فلا يجوز أن يكون ذلك الا بعد البلوغ وثبوت الحجة عليهم اذ الطفل لا يكون منه شرك ولا غيره وان كان من غيرهم فالامة مجمعة على أن لا تزر وازرة وزر أخرى كما قال عز وجل في الكتاب وليس هذا بمخالف لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إن الله مسح ظهر آدم وأخرج منه ذريته فأخذ عليهم العهد » لانه صلى الله عليه وآله وسلم اقتص قول الله عز وجل فجاء مثل نظمه فوضع الماضي من اللفظ موضع المستقبل ، قال وهذا شبيه بقصة قوله

تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به) فجعل سبحانه ما أنزل على الانبياء من الكتاب والحكمة ميثاقاً أخذه من أممهم بعدهم يدل على ذلك قوله تعالى (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) ثم قال للامم (أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على انبيائهم حجة عليهم كأخذ الميثاق عليهم وجعل معرفتهم به اقراراً منهم : قلت . وشبيه به أيضاً قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا) فهذا ميثاقه الذي أخذه عليهم بعد ارسال رسله اليهم بالايمان به وتصديقه ، ونظيره قوله تعالى (والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقوله تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) فهذا عهده اليهم على ألسنة رسله ومنه [illegible] (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) ومثله (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) فهذا ميثاق أخذه منهم بعد بعثهم كما أخذ من أممهم بعد انذارهم وهذا الميثاق الذي لعن سبحانه من نقضه وعاقبه بقوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذي أخذه عليهم على ألسنة رسله وقد صرح به في قوله تعالى (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) ولما كانت هذه الآية ونظيرها في سورة مدنية خاطب بالتذكير بهذا الميثاق فيها أهل الكتاب فانه ميثاق أخذه عليهم بالايمان به وبرسله ولما كانت هذه آية الاعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام لجميع المكلفين ممن أقروا بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق وإشهاد تقوم به عليهم الحجة وينقطع به العذر وتحل به العقوبة ويستحق بمخالفته الاهلاك فلا بد أن يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك بما فطرهم عليه من الاقرار

بربوبيته وانه ربهم وفاطرهم وانهم مخلوقون مربوبون ثم أرسل اليهم رسله يذكرونهم بما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وأمره ونهيه ووعده ووعيده ونظم الآية انما يدل على هذا من وجوه متعددة (أحدها) انه قال واذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل آدم وبنو آدم (الثاني) انه قال من ظهورهم ولم يقل ظهره ، وهذا بدل بعض من كل أو بدل اشتمال وهو أحسن (والثالث) انه قال ذرياتهم ولم يقل ذريته (الرابع) انه قال وأشهدهم على أنفسهم أي جعلهم شاهدين على أنفسهم فلا بد أن يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه الى هذه الدار لايذكر شهادة قبلها (الخامس) انه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الاشهاد إقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة (انا كنا عن هذا غافلين) والحجة انما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا عليها كما قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (السادس) تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين معلوم انهم غافلون بالاخراج لهم من صلب آدم كلهم واشهادهم جميعا ذلك الوقت فهذا لايذكره أحد منهم (السابع) قوله تعالى (أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فذكر حكمتين في هذا التعريف والاشهاد (إحداهما) أن لايدعوا الغفلة (والثانية) أن لايدعوا التقليد فالغافل لاشعور له والمقلد متبع في تقليده لغيره (الثامن) قوله (تعالى أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك وهو سبحانه انما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم فلو أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجة عليهم بالرسل لأهلكهم بما فعل المبطلون او أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه وقد أخبر سبحانه انه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ، وانما يهلكهم بعد الاعذار والانذار (التاسع) انه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه واحتج عليهم بهذا الاشهاد في غير موضع من كتابه كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار

نهم أن الله ربهم وخالقهم وهذا كثير في القرآن فهذه هي الحجة التي اشهدهم على أنفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله تعالى (أفي الله شك فاطر السموات والارض) فالله تعالى انما ذكرهم على ألسنة رسله بهذا الاقرار والمعرفة ولم يذكرهم قط باقرار سابق على إيجادهم ولا أقام به عليهم حجة (العاشر) انه جعل هذا آية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول وهذا شأن آيات الرب تعالى فانها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به فقال تعالى (وكذلك نفصل الآيات) أي مثل هذا التفصيل والتبيين نفصل الآيات (لعلهم يرجعون) من الشرك الى التوحيد ومن الكفر الى الايمان وهذه الآيات التي فصلها هي التي بينها في كتابه من أنواع مخلوقاته وهي آيات أفقية ونفسية، آيات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم وآيات في الاقطار والنواحي مما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله وعلى المعاد والقيامة ومن أبينها ما أشهد به كل واحد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه وانه مربوب مخلوق مصنوع حادث بعد ان لم يكن ، ومحال ان أن يكون حدث بلا محدث او يكون هو المحدث لنفسه فلا بد له من موجد أوجده ليس كمثله شيء . وهذا الاقرار والشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة وهذه الآية وهي قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) مطابقة لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «كل مولود ولد على الفطرة » ولقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون . منيبين اليه) ومن المفسرين من لم يذكر الا هذا القول فقط كالزمخشري ومنهم من لم يذكر الا القول الأول فقط ومنهم من حكى القولين كابن الجوزي والواحدي الماوردي وغيرهم . قال الحسن بن يحيي الجرجاني: فان اعترض معترض في هذا الفصل بحديث يروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد ثم ردهم في ظهره » وقال ان هذا مانع من جواز التأويل الذي ذهبت اليه لامتناع ردهم في الظهر ان

كان أخذ الميثاق عليهم بعد البلوغ وتمام العقل . قيل له . ان معنى ثم ردهم في ثم يردهم في ظهره كما قلنا ان معنى أخذ ربك يأخذ ربك فيكون معناه ثم يردهم في ظهره بوفاتهم لانهم اذا ماتوا ردوا الى الارض للدفن وآدم خلق منها ورد فيها فاذا ردوا فيها فقد ردوا في آدم وفي ظهره إذ كان آدم خلق منها وفيها رد بعض الشيء من الشيء. وفيما ذهبتم اليه من تأويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت بينه وبين ماجاء به القرآن في هذا المعنى إلا أن يرد تأويله الى ماذكرنا لانه عز وجل قال (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) ولم يذكر آدم في القصة انما هو ههنا مضاف اليه لتعريف ذريته انهم أولاده وفي الحديث انه مسح ظهره فلا يمكن رد ماجاء في القرآن وما جاء في الحديث الى الاتفاق إلا بالتأويل الذي ذكرناه قال [illegible] وأنا أقول: ونحن الى ماروي في الآية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ذهب اليه أهل العلم من السلف الصالح أميل [illegible] هو أولى وأهدى على أن بعض أصحابنا من أهل [illegible] هذا القائل معنى يحتمل ويسوغ في النظم الجاري ومجاز العربية بسهولة وإمكان من غير تعسف ولا استكراه وهو أن يكون قوله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم) مبتدأ خبره من الله عز وجل عما كان منه في أخذ العهد عليهم وإذ يقتضي جوابا فجعل جوابه قوله تعالى (قالوا بلى) وانقطع هذا الخبر بتمام قصته ثم ابتدأ عز وجل خبراً آخر بذكر مايقوله المشركون يوم القيامة فقال :شهدنا يعني نشهد قال الحطيئة .

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد أحق بالعذر

بمعنى يشهد الحطيئة يقول تعالى نشهد انكم ستقولون يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أي عما هم فيه من الحساب والمناقشة والمؤاخذة بالكفر، ثم أضاف اليه خبراً آخر فقال (أو تقولوا) بمعنى وأن تقولوا لأن أو بمعنى واو النسق مثل قوله تعالى (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) فتأويله ونشهد أن تقولوا يوم القيامة (انما أشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) اي انهم أشركوا وحملونا على مذهبهم في الشرك في صبانا فجرينا على مذاهبهم واقتدينا بهم فلا ذنب لنا إذ

كنا مقتدين بهم ، والذنب في ذلك لهم (قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) يدل على ذلك قولهم (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) أي حملهم إيانا على الشرك فتكون القصة الأولى خبراً عن جميع المخلوقين بأخذ الميثاق عليهم . والقصة الثانية خبراً عما يقول المشركون يوم القيامة من الاعتذار ، وقال فيما ادعاه المخالف إنه تفاوت فيما بين الكتاب والخبر لاختلاف ألفاظهما فيهما قولا يجب قبوله بالنظائر والعبر التي تأيد بها مخالفته فقال : إن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله مسح ظهر آدم أفاد زيادة خبر كان في القصة التي ذكر الله تعالى في الكتاب بعضها ولم يذكر كلها ، ولو أخبر صلى الله عليه وسلم بسوى هذه الزيادة التي أخبر بها ، فما عسى أن يكون قد كان في ذلك الوقت الذي أخذ فيه العهد مما لم يقصه الله كتابه لما كان في ذلك خلاف ولا تفاوت ، بل كان زيادة في الفائدة وكذلك الألفاظ لما اختلفت في ذاتها وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك تناقضاً كما ذكر الله عز وجل في كتابه في خلق آدم فذكر مرة انه خلق من تراب ، ومرة انه خلق من حمأ مسنون ، ومرة من طين لازب ومرة من صلصال كالفخار فهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها أيضاً في الأحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأة ، والحمأة غير التراب إلا أن مرجعها كلها في الأصل إلى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال فقوله سبحانه وتعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذريته » معنى واحد في الأصل إلا أن قوله صلى الله عليه وسلم « مسح ظهر آدم » زيادة في الخبر عن الله عز وجل بمسحه عز وجل ظهر آدم واستخراج ذريته منه مسح الظهور ذريته واستخراج ذرياتهم من ظهورهم كما ذكر تعالى لانا قد علمنا أن جميع ذرية آدم لم يكونوا من صلبه ، لكن لما كان الطبق الأول من صلبه ، ثم الثاني من صلب الأول ، ثم الثالث من صلب الثاني جاز أن ينسب ذلك كله إلى ظهر آدم لأنهم فرعه وهو أصلهم ، وكما جاز أن يكون ماذكر الله عز وجل انه استخرجه من ظهور ذرية آدم من ظهر آدم جاز أن يكون ماذكر صلى الله عليه وسلم انه استخرجه من ظهر آدم

من ظهور ذريته إذ الأصل والفرع شيء واحد . وفيه أيضاً انه عز وجل لما أضاف الذرية إلى آدم في الخبر احتمل أن يكون الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال عز وجل (فظلت أعناقهم لها خاضعين) والخبر في الظاهر عن الاعناق والنعت للاسماء المكنية فيها وهو مضاف اليها كما كان آدم مضافاً اليه هناك ، وليسا جميعاً بالمقصودين في الظاهر بالخبر ، ولا يحتمل أن يكون قوله (خاضعين للأعناق) لأن وجه جمعها خاضعات ومنه قول الشاعر

وتشرق بالقول الذي قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

فالصدر مذكر وقوله شرقت أنث لاضافة الصدر الى القناة

مسألة صفات الله تعالى وعلوه على خلقه



بين النفي والاثبات

(جواب (1) لسؤال رفع الى شيخ الاسلام تقي الدين احمد بن تيمية)

رحمه الله تعالى

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس مقالة أهل السنة وأهل الحديث ، كما ذكره ابو الحسن الاشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ، ومقالات الاسلاميين ، فذكر فيه أقوال الخوارج والرافضة والمعتزلة والمرجئة وغيرهم . ثم قال : ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملة قولهم : الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يردون من ذلك شيئاً — الى أن قال — وأن الله على عرشه كما قال : (الرحمن على العرش استوى) وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى « لما

(1) تابع ما نشر في العدد الماضي ص ٣٩

نت بيدي » وأقروا أن لله علما كما قال (أنزله بعلمه وما تحمل من أنثى
' تضع الا بعلمه) وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك من الله كما
ه المعتزلة ، وقالوا : إنه لا يكون في الارض خير ولا شر الا ما شاء
، وأن الاشياء تكون بمشيئة الله ، كما قال (وما تشاؤن الا أن يشاء
) الى أن قال : ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ويصدقون
حاديث التي جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل « إن الله
ل الى سماء الدنيا فيقول : هل من مستغفر فاغفرله » كما جاء في الحديث
ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا
ا) وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال (ونحن أقرب اليه من
ـ الوريد) وذكر أشياء كثيرة ، الى أن قال ... جملة ما يأمرون به
يستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب

قال الاشعري ايضا في مسألة الاستواء : قال اهل السنة واصحاب
ـيث ليس بجسم ، ولا يشبه الاشياء ، وانه على عرشه كما قال (الرحمن
، العرش استوى) ولا نتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول
توى بلا كيف ، وانه له يدين بلا كيف كما قال تعالى (لما خلقت بيدي)
وان الله ينزل الى سماء الدنيا كما جاء في الحديث . قال : وقالت
نزلة استوى على عرشه بمعنى استولى . وقال الاشعري ايضا في
ب الابانة في اصول الديانة في باب الاستواء ان قال قائل : ما تقولون في
ستواء ؟ قيل : نقول له إن الله مستو على عرشه كما قال (الرحمن
، العرش استوى وقال اليه يصعد الكلم الطيب وقال بل رفعه الله اليه
ل حكاية عن فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب

السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا) كذب فرعون موسى في قوله ان الله فوق السموات وقال الله تعالى (أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) فالسموات فوقها العرش وكل ما علا فهو سماء وليس اذا قال (أأمنتم من السماء) يعني جميع السموات وانما اراد العرش الذي هو اعلا السموات الا ترى انه ذكر السموات فقال وجعل القمر فيهن نورا ولم يرد انه يملأ السموات جميعا ورأينا المسلمين جميعا يرفعون ايديهم اذا دعوا نحو السماء لان الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية ان معنى استوى استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء الى القدرة فلو كان كما قالوا كان لافرق بين العرش والارض السابعة لان الله قادر على كل شيء والارض فالله قادر عليها وعلى الحشوش والاخلية فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز ان يقال هو مستو على الاشياء كلها وعلى الحشوش والاخلية فبطل ان يكون معنى الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الاشياء كلها، وقد نقل هذا عن الاشعري غير واحد من ائمة اصحابه كابن فورك والحافظ بن عساكر في كتابه الذي جمعه في تبيين كذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري، وذكر اعتقاده الذي ذكره في الابانة وقوله فيه فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحلولية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه

صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ، ولما خالف فيه مجانبون لانه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين ورحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما تقدم وغيره جمل كثيرة أوردت في غير هذا الموضع وقال أبو بكر الاجرى في كتاب الشريعة الذي يذهب اليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى وجميع ما في سبع أرضين يرفع اليه أعمال العباد ، فان قال قائل : أي شيء معنى قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم) الاية قيل له علمه والله على عرشه وعلمه محيط بهم كذا فسره أهل العلم والاية يدل أولها وآخرها انه العلم وهو على عرشه هذا قول المسلمين

والقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبي زيد وانه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه قد تأوله بعض المبطلين بأن رفع المجيد ومراده أن الله هو المجيد بذاته وهذا مع أنه جهل واضح فانه بمنزلة ان يقال الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته

وقد صرح ابن أبي زيد في المختصر بان الله في سمائه دون ارضه هذا لفظه والذي قاله ابن ابي زيد ما زالت تقوله أئمة أهل السنة في جميع الطوائف

وقد ذكر ابو عمرو الطلمنكي الامام في كتابه الذي سماه الوصول الى معرفة الاصول: أن اهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه وكذلك ذكره عثمان بن ابي شيبة حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة وكذلك ذكره يحي ابن عمار السجستاني الامام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها الى ملك بلاده وكذلك ذكر ابو نصر السجزي الحافظ في كتاب الابانة له قال: وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد ابن زيد وابن المبارك وفضيل ابن عياض واحمد واسحاق متفقون على ان الله فوق العرش بذاته وأن علمه بكل مكان وكذلك ذكر شيخ الاسلام الانصاري وأبو العباس الطرقي والشيخ عبد القادر ومن لا يحصى عدده إلا الله من أئمة الاسلام وشيوخه

وقال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني صاحب حلية الاولياء وغير ذلك من الصفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه: طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الامة قال وما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام أحدث الاشياء من غير شيء وأن القرآن كلام الله وسائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات مقروءاً ومتلوا ومحفوظا ومسموعا وملفوظاً كلام الله حقيقة لا حكاية ولا ترجمة وأنه بالفاظنا كلام الله غير مخلوق وان الواقفة من اللفظية من الجهمية، وان من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر وذكر أشياء الى أن قال وان الاحاديث

ى ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العرش واستواء الله عليه يقولون
ا ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل وان الله بائن من خلقه والخلق
ئون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم وهو مستو على عرشه في سمائه من
ون أرضه وذكر سائر اعتقادات السلف واجماعهم على ذلك وقال يحيي
ن عمار في رسالته لا نقول كما قالت الجهمية انه مداخل الا مكنة وممازج
ل شيء ولا نعلم اين هو بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط
كل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء وهو معنى قوله (وهو
كم اينما كنتم) وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد شيخ الصوفية في هذا
عصر أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة واجمع ماكان عليه
هل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين فذكر
ياء من الوصية الى أن قال فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف
لا تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول وأنه مستو على عرشه بائن
ن خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة وأنه عز
جل بصير سميع عليم خبير يتكلم ويرضي ويسخط ويضحك ويعجب
تجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء
: كيف ولا تأويل ومن انكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال وقال
مام أبو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب
سالة في السنة : ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون ان الله فوق سبع
وأنه على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الامة وأعيان سلف الامة
يختلفوا أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته قال : وأما امامنا ابو عبدالله
شافعي احتج في كتابه المبسوط في مسألة اعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة

وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة ، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتاقه اياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا : فقال لها : اين ربك فاشارت الى السماء ، فقال اعتقها فانها مؤمنة ، فحكم بايمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية »

وقال الحافظ ابو بكر البيهقي باب القول في الاستواء

قال الله تعالى (الرحمن على العرش استوى) ثم استوى على العرش ، وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم ، اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (ءأمنتم من في السماء) وأراد من فوق السماء كما قال (ولاصلبنكم في جذوع النخل) يعني على جذوع النخل وقال (فسيحوا في الارض) أي على الارض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الاية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الايات قال : وفيما كتبنا من الايات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان وقوله (وهو معكم أينما كنتم) انما أراد بعلمه لا بذاته

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول قال وهذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة قال وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يحتاج الى أكثر من حكايته لانه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ولا أنكره عليهم مسلم وقال أبو عمر أيضا : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم قالوا في

تأويل قوله ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله

•••

وقال شيخ الاسلام المسؤول أيده الله: فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف إذ لم ينقل عنهم غير ذلك إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين والحمد لله وحده



بسم الله الرحمن الرحيم

(١) وقال رحمه الله ورضي عنه في رجل تزوج بنتا بكرا بالغا ودخل بها فوجدها بكرا ثم انها ولدت ولدا بمضي مضي ستة أشهر بعد دخوله بها فهل يلحق به الولد أم لا وأن الزوج حلف بالطلاق منها أن الولد ولده من صلبه فهل يقع به الطلاق ام لا والولد اذا سويا كامل الخلقة وعمر سنين افتونا مأجورين

اجاب رضي عنه الحمد لله. اذا ولدته لاكثر من ستة اشهر من حين دخل بها ولو بلحظة لحقه الولد باتفاق الائمة ومثل هذه القصة وقعت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستدل الصحابة على إمكان كون الولد يولد لستة اشهر بقوله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا

مع قوله والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فاذا كان مدة الرضاع من الثلاثين حولين يكون الحمل ستة اشهر فجمع في الآية اقل الحمل وتمام الرضاع ولو لم يستلحقه فكيف إذا استلحقه وأقر به بل لو استلحق مجهول النسب وقال انه ابني لحقه باتفاق المسلمين اذا كان ذلك ممكنا ولم يذيع به أنه ابنه كان بارا في يمينه ولا حنث عليه والله اعلم

•••

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢)(مسألة في الفقر والتصوف) صورتها. ماتقول الفقهاء رضى الله عنهم في رجل يقول ان الفقر لا يتعبد به ولم نؤمر به ، ولا جسم له ، ولا معنى وأنه غير سبيل موصل الى رضى الله تعالى والى رضى رسوله وانما تعبدنا بمتابعة أمر الله واجتناب نهيه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن أصل كل شيء العلم والتعبد والعمل به ، والتقوى والورع عن المحارم ، والفقر المسمى على لسان الطائفة والاكابر هو الزهد في الدنيا ، والزهد في الدنيا يفيده العلم الشرعي فيكون الزهد في الدنيا العمل بالعلم وهذا هو الفقر ، فاذاً الفقر فرع من فروع العلم ، والامر على هذا. وما ثم طريق أوصل من العلم ، والعمل بالعلم على ماصح وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان الفقر المسمى المعروف عند أكثر أهل الزي المشروع في هذه الاعصار من الزي والالفاظ والاصطلاح المتادة غير مرضي لله ولا لرسوله ، فهل الامر كما قال ، أو غير ذلك افتونا مأجورين

نسخة جواب الشيخ تقي الدين بن تيمية رضي الله عنه الحمد لله

أصل هذه المسألة أن الالفاظ التي جاء بها الكتاب والسنة علينا أن نتبع ما دلت عليه مثل لفظ الايمان والبر والتقوى والصدق والعدل والاحسان والصبر والشكر والتوكل والخوف والرجاء والحب لله والطاعة لله وللرسول وبر الوالدين والوفاء بالعهد ونحو ذلك مما يتضمن ذكر ما أحبه الله ورسوله من القلب والبدن . فهذه الامور التي يحبها الله ورسوله هي الطريق الموصل الى الله مع ترك ما نهى الله عنه ورسوله كالكفر والنفاق والكذب والاثم والعدوان والظلم والجزع والهلع والشرك والبخل والجبن وقسوة القلب والغدر وقطيعة الرحم ونحو ذلك فعلى كل مسلم أن ينظر فيما أمر الله به ورسوله فيفعله وما نهى الله عنه ورسوله فيتركه هذا هو طريق الله وسبيله ودينه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذا الصراط المستقيم يشتمل على علم وعمل : علم شرعي وعمل شرعي فمن علم ولم يعمل بعلمه كان فاجرا ومن عمل بغير العلم كان ضالا وقد أمرنا سبحانه أن نقول اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . قال النبي صلى الله عليه وسلم « اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون » وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يعملوا به والنصارى عبدوا الله بغير علم . ولهذا كان السلف يقولون احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون . وكانوا يقولون من فسد من العلماء ففيه شبه باليهود . ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى فمن دعا الى العلم دون العمل المأمور به كان مضلا وأضل منهما من سلك في العلم طريق أهل البدع فيتبع أموراً تخالف الكتاب والسنة يظنها علوما

وهي جهالات . وكذلك من سلك في العبادة طريق أهل البدع فيعمل اعمالا تخالف الاعمال المشروعة يظنها عبادات وهي ضلالات فهذا وهذا كثير في المنحرف المنتسب إلى فقه أو فقر، يجتمع فيه انه يدعو الى العلم دون العمل . والعمل دون العلم . ويكون مايدعو اليه فيه بدع تخالف الشريعة . وطريق الله لاتتم الا بعلم وعمل يكون كلاهما موافق الشريعة

فالسالك طريق الفقر والتصوف والزهد والعبادة ان لم يسلك بعلم يوافق الشريعة ، والا كان ضالا عن الطريق ، وكان مايفسده أكثر مما يصلحه . والسالك من الفقه والعلم والنظر والكلام ان لم يتابع الشريعة ويعمل بعلمه والا كان فاجرا ضالا عن الطريق . فهذا هو الاصل الذي يجب اعتماده على كل مسلم

وأما التعصب لأمر من الأمور بلا هدى من الله فهو من عمل الجاهلية ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله . ولا ريب أن لفظ الفقر في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والتابعين وتابعيهم لم يكونوا يريدون به نفس طريق الله ، وفعل ما أمر به ، وترك مانهى عنه والاخلاق المحمودة ولا نحو ذلك ، بل الفقر عندهم ضد الغنى . والفقراء هم الذين ذكرهم الله في قوله (انما الصدقات للفقراء والمساكين) وفي قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) وفي قوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) والغني هو الذي لايحل له أخذ الزكاة ، أو الذي يجب عليه الزكاة ، أو ما يشبه هذا . لكن لما كان الفقر مظنة الزهد طوعا أو كرها . اذ من العصمة أن لاتقدر . وصار المتأخرون كثيرا مايقرنون بالفقر معنى الزهد ، والزهد قديكون

م الغني ، وقد يكون مع الفقر . ففي الانبياء والسابقين الاولين ممن هو زاهد مع غناه كثير

والزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة . وأما كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس تركه من الزهد المشروع ، بل ترك الفضول التي تشغل عن طاعة الله ورسوله هو المشروع . وكذلك في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك بلفظ الصوفي ، لان لبس الصوف يكثر في الزهاد . ومن قال ان الصوفي نسبة الى الصفة أو الصفاء أو الصف الاول او صوفة بن مر بن اد بن طابخة أو صوفة القفا فهؤلاء كفر من اليهود والنصارى . لكن من الناس من قد يخطو الفرق في بعض الامور دون بعض بحيث يفرق بين المؤمن والكافر ، ولا يفرق بين البر والفاجر ، او يفرق بين بعض الابرار وبين بعض الفجار ، ولا يفرق بين آخرين اتباعا لظنه وما يهواه ، فيكون ناقص الايمان بحسب ما سوى بين الابرار والفجار ، ويكون معه من الايمان بدين الله تعالى الفارق بحسب مافرق به بين أوليائه وأعدائه

ومن أقر بالامر والنهي الدينيين دون القضاء والقدر وكان من القدرية كالمعتزلة ونحوهم الذين هم مجوس هذه الامة فهؤلاء يشبهون المجوس وأولئك يشبهون المشركين الذين هم شر من المجوس ومن أقر بهما وجعل الرب متناقضا فهو من اتباع ابليس الذي اعترض على الرب سبحانه وخاصمه كما نقل ذلك عنه فهذا التقسيم من القول والاعتقاد كذلك هم في الاحوال والافعال فالصواب منها حالة المؤمن الذي يتقي الله فيفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على مايصيبه من المقدور فهو عند

الامر والدين والشريعة ويستعين بالله على ذلك كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين) واذا أذنب استغفر وتاب لايحتج بالقدر على ما يفعله من السيئات ولا يرى المخلوق حجة على رب الكائنات بل يؤمن بالقدر ولا يحتج به كما في الحديث الصحيح الذي فيه سيد الاستغفار أن يقول العبد (اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وأنا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لايغفر الذنوب الا انت » فيقر بنعمة الله عليه فى الحسنات ويعلم انه هو هداه ويسره لليسرى ويقر بذنوبه من السيئات ويتوب منها كما قال بعضهم أطعتك بفضلك والمنة لك وعصيتك بعلمك والحجة لك فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي الا ما غفرت لي

وفي الحديث الصحيح الالهي « يا عبادي انما هي اعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » وهذا له تحقيق مبسوط في غير هذا الموضع . وآخرون قد يشهدون الامر فقط فتجدهم يجتهدون فى الطاعة حسب الاستطاعة لكن ليس عندهم من مشاهدة القدر ما يوجب لهم حقيقة الاستعانة والتوكل والصبر . واخرون يشهدون القدر فقط فيكون عندهم من الاستعانة والتوكل والصبر ما ليس عند أولئك لكنهم لا يلتزمون امر الله ورسوله واتباع شريعته وملازمة ما جاء به الكتاب والسنة من الدين فهؤلاء يستعينون الله ولا يعبدونه والذين من قبلهم يريدون ان يعبدوه ولا يستعينوه والمؤمن يعبده ويستعينه

(للكلام بقية)

دعاية الالحاد في مصر

ليس الالحاد بجديد في مصر وإنما الجديد هو الدعوة اليه وتأليف الجمعيات له وهدم الاسلام، وتأليف الكتب في الطعن على اعلام حكمائه المتقدمين الذين يعلي الافرنج قدرهم كالغزالي وابن خلدون، والتنويه بمن اتهموا بالكفر والالحاد كالمعري والاشادة بأدب من اشتهر بالفسق والخلاعة كأبي نواس وقد كنا ذكرنا منذ بضع عشرة سنة خبر تأليف أول جمعية المادية من اعضائها معمم من خريجي الازهر ثم إنهم خلعوا العذار وجهروا بدعايتهم في دروس مدرسة الجامعة المصرية ومحاضراتها وفي جريدة السياسة ناشرة هذه الدعاية ومؤيدة جمعيتها وافرادها حتى إنها بعد مناصرتها الشيخ علي عبد الرازق الماهر بالادينية اخترعت من عهد قريب معنى جديداً زعمت أنه هو الذي يحل محل الدين في التكوين المعنوي للأمم والشعوب وضم الملاحدة [illegible] يسمونه بالثقافة القومية

وإذ كان [illegible] وجوبه (طرفيه) أكثر من ثلثمائة مليون مسلم، وإذ كان سبب هذه المكانة الراسخة من زهاء ألف عام الجامع الأزهر الذي يتلقى العلوم الدينية والفنون العربية فيه ألوف كثيرة من الاقطار الاسلامية العديدة ، ثم ما عززه ذلك في هذا العصر عصر المطابع من اصدار مصر للالوف من المطبوعات العربية من دينية اسلامية وأدبية وفنية الى مشارق البلاد الاسلامية ومغاربها عربيها وعجميها

وإذ كان هؤلاء الملاحدة من المصريين يدعون الى الوطنية بالمعنى الاجتماعي العصري وهو تمايز الاقوام والشعوب وتكونها بأوطان محدودة تضمها دون ما هو أوسع من ذلك من الجوامع والمقومات كالدين واللغة ، حتى إنهم ليعدون المسلم فيها وهي اسلامية — ويعدون العربي فيها — وهي عربية بل لها المكانة التي أشرنا اليها في العالمين الاسلامي والعربي — يعدونهما من الأجانب الذين لا يجمعهم بالمصري وشيجة ، ولا يمتون اليه بوسيلة ، فالشريف الحجازي أو السوري والوثني الصيني أو البلشفي الروسي عندهم سواء ، ولكن يمتاز عليهما لابس البرنيطة الافرنجي

وإذ قطنوا في هذه الأيام لما في وطنيتهم ولا دينيتهم من الخسارة الأدبية والسياسية على مصر انشأت جريدتهم (السياسة) تعدهم وتمنيهم بأن ثقافتها الالحادية الجديدة طفقت تتبوأ مباءة تلك الزعامة الدينية من أنفس الشعوب الشرقية عامة والسورية خاصة إذ شعرت هذه الشعوب بان الدين صار الأدنى والأضعف من جوامع الاقوام ، وروابط الامم — وأن مدرسة الجامعة المصرية (الالحادية) وهي المظهر الاعلى للثقافة الجديدة قد خلفت الأزهر المتوفى غير مأسوف عليه وورثت مكانته المعنوية — كما أن دور النشر اللادينية ومطبوعاتها الحديثة قد خلفت مطبوعات المطبعة الأميرية وسائر المطابع العربية التي تصدر الكتب الدينية (ولم تعرض الجريدة لمسألة الكتب الحديثة والكتب القديمة)

لقد صدقت جريدة السياسة — وقلما كانت صادقة — فيما صورته من التنازع بين الجامعة الازهرية الدينية والجامعة المصرية الالحادية ، فهذا أمر يعرفه البصيرون وإن غفل عنه الاكثرون ، [illegible] من غير المسلمين شاب اسرائيلي ذكي [illegible] كتاب [illegible] عبد الرازق عقب ظهوره وكونه ينصر فيه دعاة الالحاد الجديد . فقال ليست المسألة مسألة كتاب ألفه شيخ مسلم في محاربة الاسلام فلو كان هذا كل ما نشكو منه لهان خطبه ، ولكنما المسألة كل المسألة هي التنازع بين الجامعة المصرية وجامعة الازهر فاذا غلبت الثانية بقيت هذه البلاد اسلامية ، وإذا انتصرت الاولى لحقت مصر بالبلاد التركية وانقضى عصر الاسلام فيها

قلت إن الالحاد ليس بجديد في مصر وإنما الجديد هو الدعوة اليه . . . وأقول أيضا إن مدرسة الجامعة المصرية ليست هي المدرسة التي بذرت بذور الكفر والاباحة في هذا القطر بل بُذرت هذه البذور في المدارس المصرية منذ وجدت في مصر — وكذا الدولة العثمانية — وإنما الجامعة المصرية هي دوحتها ، التي ظهرت فيها ثمرتها ، اذ برز دكاترتها على البصائر والابصار إحداهما أو كلتيهما يبارزون الدين والفضيلة الحرب جهراً بدون تقية ولا احتراس

من قرأ اللائحتين اللتين كتبهما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اصلاح

التربية والتعليم في المدارس العثمانية والمصرية بجده قد اثبت فيهما أن طلابها يخرجون منها وليس لهم دين يهتدون به ، ولا ملة يعتصمون بعروتها وقد بين هذا في غيرهما من مقالاته ورسائله الاصلاحية ، وحكم حكما فاصلا بأن هذا التعليم الناقص الذي لا يقترن بتربية دينية صحيحة خطر على الامة وعلى الدولة ، ومضيعة لما كانت تعتز به الدولة من منصب الخلافة . ـ وكذلك كان

هذا والاستاذ الامام وأستاذه حكيم الاسلام هما أول من وضع في مصر أساس النهضة الوطنية بالحزب الوطني الذي أسساه في عهد اسماعيل باشا ورفعا قواعده بالعمل ، ولكن وطنيتها الحكيمة الصادقة غير وطنية دكاترة الجامعة المصرية ومحرري جريدة السياسة ، تلك وطنية تتفق هي وهداية الدين ، وهذه وطنية لا يبقى معها وطن ، ولا دين ، ولا فضيلة

لما كان الاستاذ الامام منفيا في بيروت رأى في بعض الجرائد المصرية طعناً في بطرس باشا غالي [illegible] القبط أنفسهم كان سببه استقالة شفيق بك منصور [illegible] التمري ذاهبة إلى أن بطرس باشا وكيل [illegible] الحقانية هو الذي ألجأه إلى الاستقالة بتعصبه وتحامله عليه — فرد الاستاذ على هذه الجرائد رداً حكيما محكماً دافع فيه عن بطرس باشا وأنكر أشد الانكار ادخال اختلاف الدين في هذه المسائل ، وإدخال الشقاق بين أبناء الوطن فيما لا علاقة للدين به . وقد ظفرنا بهذه المقالة في أثناء اشتغالنا بالطبعة الثانية لجزء منشآت الاستاذ التي تمت في هذا الشهر فليراجعها من شاء أن يرى كيف تكون الوطنية الصحيحة ، وكيف يهتدي اليها زعماؤها الصادقون

*

أما بعد فان ماتوقعناه في فاتحة الجزء الأول من هذا المجلد (السابع والعشرين) للمنار من خطر الدعاية الالحادية على نهضة الاصلاح الاسلامي ، ودولتها الجديدة مبني على الخوف من تمكن اللادينيين في مصر من جعل الأمة المصرية والدولة المصرية عدواً للدولة الحجازية النجدية بدسائس الأجانب ،

وأعوان الاجانب من غير المسلمين ، بل بغفلة رجال الدين وجهلهم بحال العصر وضعفهم أمام رجال الدنيا — وبقابلية العوام لتأثير الملاحدة باتيانهم من ناحية البدع والخرافات التي تصدت جريدة المقطم لتأييدها والدفاع عنها ، ووصفها بالتقديس (!!) ولماذا لم ينصر أصحاب المقطم تقاليد نصرانيتهم المقدسة عند آبائهم وأجدادهم ، بل خذلوها باسم الاصلاح ؟

أثارت جريدة السياسة سحابة خلاف بين حكومتي الحجاز ومصر في مسألة المحمل وركب المحمل وحرسه فقالت ما معناه : ان ملك الحجاز ابن السعود يمنع تقاليد المحمل الموروثة ، فلا يسمح لعسكر مسلح مع موسيقى عسكرية تعزف له بدخول مكة وسائر أماكن النسك الخ ، فكثر الخوض في ذلك ، وتحدث الناس بتوقع منع الحكومة المصرية للحج أو المحمل . والمرسل مع ركبه عادة من الاموال والأرزاق التي هي من حقوق أهل الحرمين في مصر ، وتطوعت جريدة المقطم بمقالات تتوسل بها [illegible] منع الحج اقتداء بحكومة إيران التي كان قنصلها في سورية هو الذي [illegible] الحكومة عقب عودته من مكة في هذا الشهر بأن ملك الحجاز [illegible] كذا ويأبى كذا ، وهو الذي لقن جريدة المقطم ما أذاعته وكبرته ، وظنت أنه بتكبيرها وإرجافها يحمل الحكومة على اقتراف جريمة الموسم الماضي كما بسطنا الكلام فيه في مقال نشر في جريدة كوكب الشرق الوطنية .

فتنة دبر مكيدتها شيعي متفرنج يغلب على الظن أنه من اللادينيين ، ان لم يكن من البهائيين ، وأذاعتها جريدة دعاة الالحاد وأرجفت بها جريدة المقطم بما يوهم قارئيها ان الشعوب الاسلامية وحكوماتها قد أجمعت على المنع والامتناع من أداء فريضة الحج ، فلا ينقص اجماعها الا ما يتوقع يوماً بعد يوم من اتفاق مصر معها — فتقعدنا شأنها وتلك صفة مثيرها كان المعقول أن تقيم قيامة علماء الأزهر وأذكياء طلابه للدفاع عن ركن الاسلام ومجاهدة قطاع طريقه ، ولكنها — والشكوى الى الله — لم تحرك منهم ساكنا ، ولم تنطق ساكتا ، فاذا كانوا يصدقون على أنفسهم ما قلناه من رأي الناس فيهم يوم دعوا الى مؤتمر الخلافة من أنهم

لا يتحركون الا اذا حُرِّكوا ولا ينطقون الا اذا أنطقوا ، فما بال خريجي مدرسة القضاء الشرعي وهم أفطن لهذه الدسائس وأجدر بنضال رماتها ، وما بال قدماء أساتذة دار العلوم الذين غلبتهم دعاية الجامعة المصرية على طلبتها فأماتوا بعلمهم وجيبهم احتقارا لها وبراءة من جامعة الازهر التي هي منبت أصلهم ، والاساس لبناء مدرستهم ؟

انني كلمت بعض كبار علماء الازهر الاذكياء في هذه المسألة كعادتي في أمثالها ، فجادلني في بعض جزئياتها ، جدالهم المعهود في جزئيات الكتب التي يتدارسونها ، وافقاً موقف المؤيد للحكومة المصرية فيا قيل من خلافها مع ملك الحجاز ، لم يستطع أن يدافع عن مسألة موسيقى حرس المحمل لما في كتب فقه المذاهب المشهورة من تحريم جميع المعازف إلا ما استثني من دف العرس وطبل الحرب ونحوه — والاستثناء معيار العموم — ولم يتناول هذه المعازف الجديدة التي اخترعت بعد عصر الاجتهاد [illegible] من المزامير وهي محرمة بنص المذهب أو المذاهب [illegible] بالدليل لا أماني معتقداً أن الموسيقى العسكرية كلها في معنى طبل الحرب الذي استثني لأجله من المعازف المحرمة وهو أنها تثير الشجاعة والاقدام ، دون طرب الشهوة الذي يبعث على ارتكاب الآثام .

اقتصر الاستاذ على الاحتجاج للحكومة فيما تصرّ عليه من دخول حرس المحمل مكة وغيرها من أماكن النسك بأسلحتها ، ولم يجد له علة تصح شرعا إلا حماية الحجاج المصريين من الاعتداء على دمائهم وأموالهم لأن ماتدعيه حكومة الحجاز من تأمين البلاد لم يصح عند الحكومة المصرية ، فلا بد لها أن تأخذ بالاحتياط ولو في هذه السنة

قلت لكن الحكومة المصرية لاتدعي هذه الدعوى وحرسها لايمشي مع الحجاج بين جدة ومكة ، بل تألفت في هذا العام شركة مصرية لنقل الحجاج بالسيارات (الاوتوموبيلات) فهل يمكن أن يسير الجيش مع هذه السيارات لحراستها ؟؟

بمثل هذا الجدل في الجزئيات يصرف الازهريون عن النظر في الموضوع الكلي والاحاطة بأطرافه للتمكن من صحة الحكم فيه ، وهـذه الخطة يتلافى في مدرسة القضاء ضررها بتكليف طلابها درس بعض المسائل (من الأصول كالاجتهاد والتقليد ، أو الفروع كالطلاق والوقف) والنظر في أدلتها ووجوه الترجيح بينها ولو عرضت مسألة الحج التي نحن بصدد الكلام الاستطرادي فيها على من اعتاد هذه الخطة لكان أول ماتتوجه اليه نفسه وجوب السعي لاحباط كل عمل يقصد به منع اداء فريضة الدين وإقامة ركن الاسلام

غرضنا من هذا الاستطراد ضرب المثل لضعف الجامعة الأزهرية فيما يجب عليها من صد هجمات ملاحدة الجامعة المصرية وكتاب جريدة السياسة على عقائد الاسلام وآدابه وتشريعه ، وشكل حكومته ، فانهم أضر من دعاة النصرانية الذين يرد الأكثرون كلامهم بتهمة العداوة الدينية — ويأخذون كلام هؤلاء بالقبول لانتفاء التهمة [illegible] ، إنما مبلغ أكثرهم من العلم أن ينقلوا من بعض كتب الفقه المتداولة نصوصاً يفسرونها ، ويوجبون على الناس اتباعها عقلوها أم لم يعقلوها ، بناء على انها هي المعتمدة في المذهب أو المذاهب ، أو الاجماع : هذا حلال وهذا حرام ، هذا كفر وهذا إيمان ، فمن خالف فسق أو ارتد عن الاسلام ، وهم يرون الكثير من الناس يأتونها ومنهم من يرد عليها ويهزأ بها ، ثم لاينقص لأحد من هؤلاء في قومه قدر ، ولا يعامل معاملة المرتدين في حياة ولا موت ، وآخر مارأيناه في ذلك فتوى المفتي الاكبر وشيخ الجامع الأزهر في حكم لبس البرنيطة

لهذا ترى هؤلاء الملاحدة موقنين بأنهم هم المنصورون ، وأن رجال الجامعة الأزهرية والمعاهد الدينية هم المهزومون المخذولون ، وأنهم سيفعلون في هـذا القطر ، مافعله الكماليون في بلاد الترك ، فاتحاد الاسباب يؤذن باتحاد المسببات والنتائج لاتتخلف عن المنتج من المقدمات .

هنا وجه الخطر على مصر من تعاليم الالحاد التي يقصدها الأجانب الذين غرسوا فسيلها ، ومهدوا الأرض لنموها ، وجنوا بواكير ثمراتها ، بل أصبحوا

أصحاب التصرف الأعلى فيها ، وانما يفيضون على تلاميذهم وربائبهم أجود خدمتهم منها ، ومن ورائهم جمعيات سرية ، ودسائس خفية ، ومرشحات إباحية ، ومطامع بلشفية ، فماذا بقي للاسلام تجاه ذلك كله ؟

غير أنه لاتزال طائفة من شبان الأزهر العلماء موضع الرجاء لما لهم من الدراية بعلوم العصر والقدرة على التحرير والولوع بالاصلاح مايستطيعون به أن يعيدوا مجده ويحفظوا مكانته

يقال بقي ان سواد الشعب الأعظم في هذا القطر على الاسلام - وهو أعظم قوة - ونقول إن الشعب التركي كذلك ، ويقال ان الدستور المصري مصرح بأن دين الدولة الاسلام ، ونقول إن دستور الجمهورية التركية التي تهدم الاسلام فيه مثل هذا النص ، فلابد للانتفاع من قوة أكثر الشعب ، ومن قوة الدستور من نظام يدبره زعماء يرجعون بالاسلام الى أصله الذي كان عليه في الصدر الأول قبل حدوث التفرق وابتداع البدع ، وبيان ما هو دين ثابت بالنص القطعي رواية ودلالة أو بإجماع السلف عليه وما دون ذلك من الاحكام الظنية التي هي محل الاجتهاد - ومن الرجوع في تعليمه وتعلمه الى الاستقلال ، والاجتهاد في الاستدلال ، وتأييده والدفاع عنه بما تقتضيه حالة هذا العصر وما عليه أهله من علم وعرفان ، وبيان ماهو الحق من موافقته لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، ولا ينهض هذا الا بثورة دينية على هذا الازهر وسائر المعاهد الدينية لا تبقي ولا تذر من نظمه وعاداته ومناهجه وكتبه شيئاً الا بدلت به ما هو خير منه

كلمت في هذا كبراء الشيوخ في هذا العام مراراً وأنذرتهم ما حل بإخوانهم الترك انذاراً فلم يماروا بالنذر ، ولكن تعلل بعضهم بالقدر ، وانما القدر حجة عليهم لا لهم ، والحق انهم لايقدرون على العمل ولا يمكن لغيرهم أن يعمل معهم ، وقد شاهدنا بأعيننا ما كان من مجاهدة الاستاذ الامام فيهم ، وأنى لمصر مثل الاستاذ الامام أو من يقرب منه في علمه وحكمته ، وعقله وبصيرته ، وهمته وعزيمته

ن سبق لي مثل هذا الحكم عليهم بالعجز منذ تسع وعشرين سنة لا عليهم خاصة ، بل على علماء هذا العصر الدينيين كافة ، أي على جمهورهم وجماعاتهم ،

لا على كل فرد منهم كيف وقد كان فيهم الاستاذ الامام بمصر ، وأفراد على مذهبه ومشربه في كل قطر ?

ذلك بأني كتبت في السنة الاولى من المنار الذي صدر العدد الاول منه في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ مقالات في بيان ضعف المسلمين وأسبابه ، وفي الاصلاح الذي يجدد مجده ويعيد هدايته ، أنحيت فيها باللائمة على الزعماء المسئولين من الخلفاء والسلاطين والعلماء ومشايخ طرق الصوفية ، ومن أشد تلك المقالات لهجة وأمضها حجة ما كان عنوانها (ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) فكتب الي أحد المجاورين في رواق الشوام كتاباً غفلا من الامضاء يستنكر فيه وضع شيء من تبعة ضعف المسلمين وسوء حالهم على العلماء ويعتذر عنهم بما وسعه الاعتذار ، فاجبته بما ظهر لي بعد ذلك انه لم يقنعه ، اذ زارني جماعة من مجاوري هذا الزمان في العيد وجرى ذكر المسألة فناضل أحدهم عن العلماء وأطال في انتحال الاعذار ، وانتهى [illegible] وبأنه صاحب ذلك الكتاب الانكاري ، وذكر [illegible] والخلاصة فيه

بعد هذا قلت له ان للعلماء الذي عذراً لو أوردته علي لما استطعت لهرداً ، ولا حاولت له نقضاً ، قال أبعد هذا كله تقول إن لهم عذراً صحيحاً ? بالله ما هذا العذر ? قلت هو الجهل ! قال : الجهل ? قلت : الجهل وإنما عنيت الجهل بتاريخ الاسلام كيف انتشرت دعوته ، وقبلت هدايته ، وسادت حكومته ، ودونت علومه ، وزهت حضارته ، ثم كيف طرأت عليه البدع ، وكيف كاد له العجم ، وكيف رجع القهقرى ، فتفرق أهله شيعاً ، وصارت دولته دولا ، ثم كيف كان جهاد الافرنج له بالسيف والنار ، ثم بالسياسة ثم بالعلم ، وهو أشد جهادهم خطراً ، فانه هو الذي جعل المسلمين يخربون بيوتهم بأيديهم - لو عرف علماء الاسلام هذا التاريخ وهو يتوقف على معرفة تاريخ خصومهم لعرفوا كيف يكون المخرج من هذه المآزق . . .

(والثاني) التقليد الذي اجمع السلف على تسميته جهلا ، مع تحريم الله إياه في كتابه وذمه لأهله ، وقف عند عجز علماء التقليد في هذا العصر عن إقامة

الحجة على كون الاسلام هو دين الله الحق . . . . وعن الدفاع عنه ، ورد الشبهات الحديثة التي يوردها عليه الطاعنون ، وعجزهم عن جعل شريعته كافية لما استحدث البشر من فنون الحرب ومناهج السياسة والنظم المالية والشؤون المعاشية ، هذا العجز الذي كان سبب ترك حكومة هذه البلاد الاسلامية لنشر يعتها واتباع التشريع الافرنجي المدني والجزائي (العقوبات) وسبب ذبذبة الترك في ذلك الى أن نبذت حكومتهم شريعته برمتها ، وصارت اكبر أعدائها وأشدهم وطأة عليها ،

ارفع صوتي بأنه لاينقذ الاسلام في مصر من مثل هذه العاقبة إلا قلب نظام التربية والتعليم في الازهر وملحقاته بعد أن خصص لها من أموال أوقاف المسلمين المبالغ الكافية لادارة جامعة من أعظم الجامعات تحيي علوم الدين وعلوم الدنيا وفنونها مع التربية الدينية ، وتمكنها من تأسيس مدارس تغني البلاد عن مدارس دعاة النصرانية الذين يفسدون على اولاد المسلمين دينهم وقوميتهم ، والاوجب نزع هذه الاموال منهم [illegible] من [illegible] هذا المال

إنني لم اكتب هذا الا وانا معتقد وجوب بيانه بعد أن نصحت بالقول فلم يفد ولم يسمع ، وإنني اعتقد أنني أشد غيرة على هؤلاء الناس من أنفسهم ، واضن بكرامتهم وشرفهم من أبنائهم ، وإنني لأتميز غيظا كلما قرأت طعنا فيهم من هؤلاء الملاحدة الاباحيين عبيد الشهوات ، واشهد أن رؤساءهم الحاضرين لم يكونوا من خصوم الاستاذ الامام ، بل فضيلة المفتي والاستاذ المدير من تلاميذه والاستاذ الاكبر كان موادا له

ولو كانوا قائمين بما يجب من خدمة الدين لكان عدد الملاحدة والاباحيين قليلا ، ولكان ضرر هذا القليل في الامة أقل ، فاني أعلم أن منهم الحسن النية ، والمخلص في طلب العزة والرفعة للامة ، والدين لو وجدوا من جماعة الدين اصلاحا لرضوا أن يكونوا اعوانا لهم وأنصارا ، وسابين هذا في مقال آخر من هذا البحث أثبت فيه أن سوء حال رجال الدين فتنة للكافرين ، وحجة للملحدين (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ، ربنا إنك انت العزيز الحكيم)

الالحاد في الجامعة المصرية

الدكتور طه حسين المتخرج من الجامعة المصرية والمدرس بها ألقى محاضرات فيها وجمعها في كتاب سماه «الشعر الجاهلي» وقد طعن فيه على الاسلام والقرآن ، فأهاج الرأي العام ، وتناول كتابه الأدباء والكتاب ، بالرد والتفنيد وقد كلف فضيلة شيخ الأزهر ورئيس المعاهد الدينية لجنة من علماء الازهر بالنظر في الكتاب ووضع تقرير عنه فقامت بذلك ورفعت لفضيلته التقرير الآتي وهذا نصه كما جاء في مقطوم الأحد ٢٦ شوال سنة ١٣٤٤

كتاب الشعر الجاهلي



رأي لجنة العلماء فيه

حضرة صاحب الفضيلة مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد اجتمعت اللجنة المؤلفة بأمر فضيلتكم من الموقعين عليه لفحص كتاب طه حسين المسمى « في الشعر الجاهلي » بمناسبة ماقيل عنه من تكذيب القرآن الكريم واطلعت على الكتاب وهذا مارفعه إلى فضيلتكم عنه بعد فحصه واستقراء مافيه

يقع الكتاب في ١٨٣ صفحة وموضوعه انكار الشعر الجاهلي وأنه منتحل بعد الاسلام لأسباب زعمها — وقال انه بنى بحثه على التجرد من كل شيء حتى من دينه وقوميته عملا بمذهب (ديكارت) الفرنسي . والكتاب كله مملوء بروح الالحاد والزندقة ، وفيه مغامز عديدة ضد الدين مبثوثة فيه ، لايجوز بحال أن تلقى إلى تلامذة لم يكن عندهم من المعلومات الدينية مايتقون به هذا التضليل المفسد لعقائدهم ، والموجب للخلف ، والشقاق في الأمة ، واثارة فتنة عنيفة دينية ضد دين الدولة ودين الأمة

وترى اللجنة أنه اذا لم تكافح هذه الروح الالحادية في التعليم ، وتقتلع

هذا الشر من أصله ، وتطهر دور التعليم من (اللادينية) التي يعمل بعض الافراد على نشرها بتدبير وأحكام تحت ستار حرية الرأي اختل النظام وفشت الفوضى واضطرب حبل الأمن لان الدين هو أساس الطمأنينة والنظام

الكتاب وضع في ظاهره لانكار الشعر الجاهلي ، ولكن المتأمل قليلا يجده دعامة من دعائم الكفر ، ومعولا لهدم الاديان ، وكأنه ملوضع إلا ليأتي عليها من أصولها وبخاصة الدين الاسلامي ، فانه تذرع بهذا البحث إلى انكار أصل كبير من أصول اللغة العربية من الشعر والنثر قبل الاسلام مما يرجع اليه في فهم القرآن والحديث . هذا مايرمي اليه الكتاب في جملته ، ولنذكر نبذاً منه بعضها كفر صريح ، وبعضها يرمي إلى الالحاد والزندقة فنقول :

قال في صفحة ٢٦ مانصه (للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن إثبات هذه القصة التي تحدثنا بهجرة اسماعيل ابن ابراهيم إلى مكة)

انكر المؤلف هجرة(1) سيدنا ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام وقال : إن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى في سورة ابراهيم حكاية عنه عليه الصلاة والسلام (وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبنيَّ أن نعبد الاصنام، رب انهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم ٭ ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) وقال في الصفحة نفسها (ونحن مضطرون إلى أن نرى في هذه القصة — يريد قصة الهجرة — نوعاً من الحيلة لاثبات الصلة بين اليهود

(1) عبارة المخذول نص في إنكار ابراهيم واسماعيل أنفسهما فضلا عن هجرتهما فالذي ذكر التقرير انكاره لهجرتهما فقط وسكت عن انكاره لوجودهما. هذا وانكار ابراهيم واسماعيل مصادمة صريحة للكتب السماوية والشرائع الالهية وللتواتر والتاريخ

والعرب من جهة ، وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى)

وهو في هذا النص يصرح بأن القرآن اختلق هذه الصلة بين اسماعيل والعرب ليحتال على جلب اليهود وتأليفهم ، وليسب العرب إلى أصل ماجد زوراً وبهتاناً لأسباب سياسية أو دينية ، وهذا من منتهى الفجور والفحش ، والطعن على القرآن الكريم في اثباته أبوة ابراهيم للعرب في قوله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم ، الآية)

وقال فى صفحة ٢٧ (وقد كانت قريش مستعدة كل الاستعداد لقبول مثل هذه الاسطورة — الهجرة الذكورة — في القرن السابع للمسيح إلى أن قال فى صفحة ٢٨ اذاً فليس مايمنع قريشاً من أن تقبل هذه الاسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس اسماعيل وابراهيم كما قبلت روما قبل ذلك ، ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعتها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس بن بريام صاحب طروادة ، أمر هذه القصة اذاً واضح فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الاسلام ، واستغلها الاسلام لسبب ديني ، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً . واذاً فيستطيع التاريخ الادبي واللغوي ألا يحفل بها عند مايريد أن يتعرف أصل اللغة العربية الفصحى)

وهو تكذيب صريح لقول الله تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل) الآية سورة البقرة . ولقوله تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ، واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) ولقوله تعالى (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) إلى غير ذلك من الآيات التي في هذا الموضوع وهو فوق تكذيبه للقرآن يقول إن فيه تدليساً واحتيالا لأسباب سياسية ودينية من أجلها اختلق هذه الاخبار — بهذا وأمثاله يقرر المؤلف أن القرآن لا يوثق بأخباره ولا بما فيه من التاريخ

وكم يترك هذا الكفر الفاحش في عقول الطلبة من أثر سيء ، وهدم لعقائدهم ودينهم ، وماذا بقي في القرآن من ثقة وحرمة في نفوسهم بعد هذا التكذيب

وقال في صفحة ٣٣ (وهناك شيء بعيد الاثر لو أن لدينا أو لدى غيرنا من الوقت مايمكننا من استقصائه أو تفصيل القول فيه ، وهو أن القرآن الذي تلي بلغة واحدة ، ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها ، لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءاته ، وتعددت اللهجات فيه ، وتباينت تبايناً كثيراً إلى أن قال : انما نشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل ويسيغه النقل ، وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تغير حناجرها ، وألسنتها ، وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته من قريش فقرأته كما كانت تتكلم) إلى آخر ماقال

وهذا تصريح منه بأن القراءات لم تكن منقولة كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هي من اختلاف لهجات القبائل ، والسبع المتواترة ليست عنده واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم في أصول الدين أن السبع متواترة ، وأن طريقها الوحي فكيف ينكرها

وعدا ما سرد توجد صحائف عديدة في الكتاب مؤيدة منها ماقاله في صفحة ٨١ (وشاعت في العرب أثناء ظهور الاسلام وبعده فكرة أن الاسلام يجدد دين ابراهيم) وفي الصفحة التي قبلها (أما المسلمون فقد أرادوا أن يثبتوا للاسلام أولية في بلاد العرب كانت قبل أن يبعث النبي ، وأن خلاصة الدين الاسلامي وصفوته هي خلاصة الدين الحق الذي أوحاه الله الى الانبياء من قبل) وهو في هذا يكذب قوله تعالى (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) وقوله تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الموضوع ، ومنها غير ذلك كثير مما هو مبثوث في الكتاب

ولا ريب في أن هذا هو عين ماكان يطعن به المشركون على القرآن في مبدأ أمره قال تعالى في سورة الفرقان (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا)

فاللجنة ترفع إلى فضيلتكم ماوصلت اليه على سرعة من الوقت مما سطره المؤلف من الكفر الصريح ، وتترك ماينطوي في ثناياه من الالحاد والزندقة مما لايخفى على الناظر

نرفعه مطالبين فضيلتكم والحكومة بوضع حد لهذه الفوضى الالحادية خصوصاً التي تنبث في التعليم لهدم الدين بمعول الزندقة كل يوم فما نفرغ من حادثة إلا ونستقبل حوادث لاتدع المؤمن مطمئناً على دينه

نطالب فضيلتكم والحكومة بذلك حرصاً على أبناء الدولة أن يتفشى هذا الداء فيهم وهم رجال المستقبل ، وسيكون بيدهم الحل والعقد في مهام الأمور

ونحن لانفهم كيف تصرف أموال المسلمين وأوقافهم على تعاليم نتيجته هذا الالحاد الذي يبثه هذا الداعي وتنفق عليه مرتباً ضخماً من هذه الاموال

وهل بهذه الطريقة وعلى هذا النحو تحكم وزارة المعارف أبناء الأمة ورجال الغد وتبني صرح التعليم والتربية ؟

نسأل الله أن يوفقكم لما فيه المصلحة والسلام

٢٦ شوال سنة ١٣٤٤

الامضاءات

محمود الديناري . عبد المعطي الشرشمي . محمد عبد السلام القباني . عبدربه مفتاح . عبد الحكم عطا . محمد هلالي الابياري . عبد الرحمن الحلاوي . محمد علي سلامه

بلاغ عام

﴿ قد نشر منذ عام ، وأشارت اليه جريدة ام القرى ولم تنشره وهو وثيقة رسمية وحجة قطعية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى كافةمن يراه من اخواننا المسلمين من أهل مكة وأهل نجد كبيرهم وصغيرهم سلمهم الله تعالى وهداهم ، ووفقنا وإياهم لما يحبه ويرضاه ، وجعلنا وإياهم من صالحي عبيده واوليائه ، آمين

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) فلا يخفاكم مامن الله به علينا وعليكم من نعمة الاسلام قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وقال تعالى آمراً عباده بما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم (الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور) وقال صلى الله عليه وسلم « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليوشكن أن يعمكم الله بعقابه » والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تحصى . فاذا كان الناس هم المحتاجين الى ربهم وهو صاحب المنة والفضل بما انعم به علينا من نعمة الاسلام وجعلنا من أهله فالواجب علينا الاجتهاد فيما يرضي الله والقيام بامره والاتباع لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد اوجب علينا فرائض الاسلام الخمس وهي شهادة أن لا إله إلا الله وحقيقة ذلك النفي والاثبات (لا إله) نافية جميع مايعبد من دون الله سواء كان المعبود نبيا مرسلا أو ملكا مقربا ودالة على التبرؤ من الشرك واهله بالافعال والاقوال و (إلا الله) تثبت العبادة لله ومعنى ذلك أن تكون عبداً مطيعا لله تطيعه فيما أمرك به وتجتنب مانهاك عنه . وشهادة أن

محمداً رسول الله حقيقتها ومعناها أن تقتدي به وتتبع سنته بفعل ما أمرك به واجتناب ما نهاك عنه ، وأن يكون الله ورسوله أحب اليك من نفسك وأهلك ومالك

(الركن الثاني) إقامة الصلاة لانها اكبر أركان الاسلام بعد الشهادتين فمن حفظها فقد حفظ دينه ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . والثالث والرابع والخامس إيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام

فرجو أن يوفقنا الله واخواننا المسلمين لاقامة أركان الاسلام جميعها مع الاخلاص بالعمل والنية الصالحة . ومن المعلوم أنه لا دين ولا اسلام إلا بالعمل باركان الاسلام وأدائها على الوجه المشروع . وإن من جماع الامر النصح لله ولرسوله ولدينه ولأئمة المسلمين وعامتهم بكل مكان وكل زمان وعلى الأخص في هذا الحرم الشريف . والذي اوصيكم به ونفسي بتقوى الله والمسارعة الى ذلك والاجتهاد فيما يحبه الله ويرضاه ، وأن تفكروا فيما خلقتم له وفي مآلكم بعد انقضاء آجالكم فانه ليس بعد ذلك إلا جنة أو نار . والعاقل منا ومنكم من فكر وسعى فيما يرضي ربه وينجيه من عذابه

إن أول وصيتي لكم — اخواننا أهل مكة — وإن على علمائكم الالتفات الى أمر الله ومعرفة حقيقة التوحيد والاجتهاد بما يزيل البدع والضلالات ، وتبيين الحق لعباد الله الفقراء اليه فان تعليم الناس وتبيين الحق من الباطل من أهم الاشياء التي يجب على العلماء القيام بها فاذا فعلوا ما يجب عليهم فقد برئوا من عهدتهم . وإن من أهم ما يجب عليهم بيانه للناس حقيقة التوحيد والعمل به وترك ما ينافيه من الشرك والضلال والبدع . ثم حض الناس على إقامة شرائع الاسلام مثل الصلاة والمحافظة عليها ، ومعرفة اركانها وواجباتها ومفسداتها وكذلك غيرها من اركان الاسلام وأن ينهوا الناس ويزجروهم عن الاعمال الخبيثة من قول وفعل واعتقاد وعن جميع المنكرات التي تحرمها الشريعة وإني اطلب الى العلماء أن لا يكتموا شيئا مما في نفوسهم فيما يتعلق بامر العقيدة التي تفاوضنا وإياهم فيها وأقروها فاذا كان موافقا لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيجب علينا جميعا العمل به لأن دين الله واحد ونحن جميعا عبيد لله، واكرم الخلق على الله من اتقاه فلا

تعالى (إن اكرمكم عند الله اتقاكم) وما كان مخالفاً للكتاب والسنة فالساكت منه على خطر إنه لا عذر بعد اليوم لأحد بالسكوت واكرر عليكم مرة ثانية انه من رأى منكم منكراً يخالف الكتاب والسنة من قول أو عمل فليراجع فيه العلماء الموجودين في مكة وهم الشيخ عبد الرحمن بن داود والشيخ محمد الشاوي ومن لم يستطع مراجعتهما فليبين لي الأمر ولكم على أمان الله وعهده أن اخذ مايقتضيه الحق وما اثبته الشريعة من نفي واثبات على نفسي واسرتي وعلى العلماء والعوام.

واما أنتم ـ يا اهل نجد علماءكم وعامتكم والمسؤول في هذام الذين ذكروا اعلاه الشيخ عبد الرحمن والشيخ محمد ـ

فالواجب عليكم أن تتناصحوا فيما بينكم وتناصحوا اخوانكم جيران البيت الحرام وتشفقوا عليهم كشفقتكم على انفسكم وأولادكم وأن تسألوا الله لمهتديهم الثبات ولجاهليهم الهداية ، وأن يكون نصحكم لهم كنصحكم لانفسكم وأحبابكم بالرفق واللين والشفقة وأن تبشروا عليهم كما تبشرون على أنفسكم واحبابكم وان لا تجسسوا عليهم وأن لا تظنوا بهم ظن السوء في جميع ما تنصحونهم به ، فان كان صادقا فالحمد لله ، وان كان غير ذلك فليس لنا إلا الظاهر وحسابه على الله

فعليكم أيها العلماء القيام بالوظيفة التي الزمنا الله وإياكم بها ، وأنتم أيها العامة عليكم أن ترتدعوا عما نهاكم الله عنه ، ثم عما نهيناكم عنه

أيها العلماء أن الامر قد جعلناه في ذمتكم فعليكم أن تقوموا بالواجب على الوجه المشروع وأن تواسوا اخوانكم أهل بيت الله الحرام وجيرانه بأنفسكم من النصيحة بالقول والفعل وأن تأخذوا على يد السفيه من كافة أهل نجد وتمنعوهم من الاعتداء بالقول والفعل اذ ليس لأحد منهم رخصة في ذلك وإنما على الموظفين أن يقوموا بوظائفهم حسبما يطلب منهم كما سنبينه

ان الذي آمركم به أيها العلماء هو أن تجتمعوا مع إخوانكم من أهل البلد الحرام وترتبوا أناساً ترتضونهم في أمر دينهم ودنياهم توزعونهم في الأحياء والاسواق حتى اذا رأوا من أحد كلاما أو عملا يخالف المشروع من شرك أو بدعة أو فسوق أقبلوا عليه ونصحوه بلين ورأفة فان قبل منهم العظة

واستغفر وتاب فالحمد لله وهو المطلوب وإن تردد في ذلك وتعنت يأخذونه باللين والهون اليكم حيث تقيمون عليه بعد ذلك مايجب سواء بنصيحة أو بأدب وهذا هو الأمر الأول الذي يجب على الموظفين القيام به (ثانيا) عليهم أن يحضوا الناس على صلاة الجماعة وأن لايتأخر أحد من ادائها في المساجد فمن تأخر لأول مرة نصحوه فان تكرر منه ذلك رفعوا الامر اليكم حيث تنفذون فيه الامر المشروع (الثالث) ان يراقبوا كافة أهل نجد ويمنعوهم من الاعتداء بالالفاظ كقول جاهل: يامشرك أوياكافر أويافاسق وكذلك يمنعونهم من الاعتداء باليد وغيرها فمن اعتدى يؤدبونه فان عاند حولوه اليكم لتنفذوا فيه من العقوبة مايستحقه عمله أما عامة أهل مكة (أولا) ترك مايخالف الشرع من كلام شرك ودعوة غير الله واستغاثة بغير الله وتوسلات مبتدعة وزيارات القبور أو غيرها بقصد التبرك بها أو طلب شيء منها لانه لايجوز الطلب من غير الله أما الزيارة المشروعة فلا [illegible] كانت عليها القباب من قبل فدفعاً لشبهة ورداً لحجة جاهل [illegible] بها الى الله من تحريم زيارة القبور على الوجه المشروع ولكن مراعاة قاعدة من قواعد الشرع المشهورة وهي « أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

(ثانيا) عليكم بالمحافظة على الصلاة والمبادرة لادائها مع الجماعة وترك الأعمال الى انقضاء الصلاة

(ثالثا) عليكم ترك التكلم بالكلام الخبيث الذي ينهى عنه الاسلام

(رابعاً) عليكم بالامتناع عن جميع الشبهات التي تحرمها الشريعة الاسلامية من قول وعمل مثل المسكرات أو جنسها والابتعاد عن مواقف الفساد والبعد عن البغي والمحرمات وترك الربا في جميع مظاهره وعلى الاجمال أن تجتنبوا جميع ماحرمته الشريعة الاسلامية فمن اجتنب ذلك فهو اخونا ونحن اخوانه ومن ترك شيئاً من المأمور به أو فعل شيئاً من المنهي عنه فلا يأمن العتب ولا يلومن إلا نفسه ونبرأ الى الله أن نفعل به فعلا من تلقاء أنفسنا نرد أمره الى الشريعة المطهرة وننفذ ماأمرت به فيه

وأما أنتم ياعامة أهل نجد فليشتغل كل بعمله ولا يتعرض لما لايعنيه وأنهاكم

ثم أنهاكم عن الكلام الفاحش كأن يلعن أحدكم أحداً أو يتكلم بقول يامشرك ياكافر يافاسق ياخبيث أو يرفع يده على أحد بضرب أو غيره فالفاعل لذلك هو مني في حرج أولا ثانيا (اذا) ثبت عندي أنه تكلم بهذا الكلام أوضرب بيده ولو كان منكرا لمنكر فاني مجبر على تأديبه واصابته بما يضره فان ادعى المنكر أنه أنكر عملا بحديث « من رأى منكراً فليغيره » فهذا صحيح ونقره على ذلك ولكن يشترط أن يكون الانكار على وجه المشروع إذ يشترط فيه اولا أن يكون المنكر متحققاً من أن الشيء الذي ينكره منكر بالنص ثانياً أن يكون عليما بما يأمر به عليما بما ينهى عنه حليما فيما ينهى عنه رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه فاذا كملت هذه الخصال الأربع فلينه برفق ونصيحة وستر فان أطاعه المأمور فالحمد لله وأن أبي او عاند فلا يتكلم معه بكلام فحش ولا يتجاوز عليه برفع يده أو غيرها بل يخبر بذلك الموظفين بالاخوان وهم ينظرون في شأن المخالف ويرجعونه الى العلماء . فمن تجاوز فقد عصى الأمر وجنى على نفسه واستحق التأديب

وعلى ذلك فقد برئت الذمة عما كلفنا به العلماء وأمرنا به الرعية فمن رأى ذلك صوابا موافقاً للكتاب والسنة فليجتهد في ذلك ونسأل الله لنا وله الهداية والثبات على ذلك . ومن انكر شيئاً في هذا أو رأى فيه شيئا يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح فليراجعنا فيه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

وقد أمرت الامير خالداً أن ينفذ مايقرره العلماء وأن يكون خادما للشريعة ويقيم الأمر على المخالف سواء كان من أهل مكة أو أهل نجد. وبهذا برئت ذمتي وتعلق الأمر في رقاب العلماء أي علماء مكة وعلماء نجد واكون معذورا امام من جنى على نفسه وخالف الأمر من اهل مكة المكرمة أو من أهل نجد والرجاء بالله أن يجعلنا واخواننا المسلمين من القائمين على النهج القويم والسائرين على الصراط المستقيم ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

١٠ شوال سنة ١٣٤٣ عبد العزيز بن عبد الرحمن

الفيصل آل سعود

مذكرة

مقدمة الى مؤتمر الخلافة العام في مصر القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وأتمروا بينكم بمعروف)

أيها الاخوة الكرام ، الذين اجتمعوا لخدمة الاسلام ، بالنظر في مسألة الخلافة التي هي أهم المسائل الدينية الدنيوية ، ان أخاكم هذا قد درس هذه المسألة من جميع وجوهها الشرعية والتاريخية والسياسية ، وألف فيها كتابا حافلا يشتمل على جل ما يلزم لمن يريد درس المسألة والاحاطة بوجوهها ، ثم كتب بعد ذلك مقالات أخرى فيها عقب الغاء الحكومة الجمهورية التركية للخلافة العثمانية

ثم انه انتظم في عقد مجلس إدارة مؤتمركم هذا الذي قرر دعوتكم إلى هذا الاجتماع ووضع النظام له ، وكان عضواً في لجانه الفرعية ، وهو يعرض عليكم رأيه فيما يراه أهم مسائل البرنامج الذي وضعه مجلس الادارة معبراً عن هذا الامر بما يجب على المسلمين عمله والسعي له إذا رأى المؤتمر أن نصب إمام عدل مستجمع الشروط الشرعية على الوجه الشرعي الذي هو مبايعة أهل الحل والعقد من المسلمين الموصوفين بالصفات المقررة في موضعها من كتب الشرع لا يتيسر الآن

أيها الاخوة الكرام

اني قبل بيان رأيي فيما أذكر أقول كلمة وجيزة في رأي سمعته من كثير من الباحثين والمفكرين وهو : انه إذا تعذر نصب الخليفة الشرعي الذي هو الامام الحق الذي تجب طاعته بمجرد مبايعته الشرعية على جميع المسلمين ملوكهم وأمرائهم ودهمائهم ويعد الخارج من أمره في غير معصية الله تعالى عاصياً يجب على المسلمين قتاله إذا كان ذا شوكة — فالواجب في هذه الحالة نصب خليفة مستجمع للممكن

من الصفات والشروط المطلوبة شرعاً لخلفاء دولة آل عثمان التي كان أكثر المسلمين يعترفون بها ، عملا بقاعدة : الميسور لا يسقط بالمعسور ، وقياساً على ما أجازه بعض الفقهاء من تولية القاضي المقلد (الذي يعبرون عنه بالجاهل) عند فقد العالم المجتهد ، ويحتجون لذلك بما ورد في الصحيح أن «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » ووجوب اعتزال المسلم لجميع فرق المسلمين إذا لم يكن لهم إمام وجماعة ولو بعضه بأصل شجرة حتى يموت على ذلك

وإني أشير إلى أهم ما كنت أقوله لهؤلاء (وتجدونه له تفصيلا في كتابي الخلافة أو الامامة العظمى) وهو :

(١) ان لبعض الشعوب الاسلامية إماماً مبايعاً وجماعة يدعون أن بيعته شرعية لا ينقصها شيء من الشروط الشرعية ، ولبعض آخر إماماً يدعون أنه هو الذي يقيم الحق والعدل والسنة دون غيره وإن لم يكن مستجمعاً لجميع ما ذكر العلماء من الشروط ، ولكن سائر الشعوب الاسلامية غير هؤلاء ولا أولئك بإمامتهم فما الفائدة من مبايعة إمام آخر لا يمكن ادعاء اجتماعه للشروط ، ولا أن بيعته هي الصحيحة دون غيرها ؟ وهل تكون هذه البيعة إلا سبباً في التفرق والشقاق ؟

(٢) كما توجد شعوب تدعي وجود الخلافة فيها يوجد أفراد يدعون الخلافة ببيعة توجب على جميع المسلمين اتباعهم ، وإن كان المعتدون قد فصلوهم بالقوة من شعوبهم ، وهم محمد وحيد افندي التركي السلطان الأخير من آل عثمان[1] وعبد المجيد افندي التركي الذي سُمي خليفة بدون خلافة ولا سلطنة ثم طُرد من قصره ومن بلاد شعبه ، والشريف حسين بن علي الذي كان أميراً لمكة ثم صار ملكاً للحجاز ، ثم بايعه بالخلافة فريق كبير من أهل فلسطين وسورية بالاختيار ، ثم أهل الحجاز بالاضطرار ، فماذا استفاد المسلمون من هذه البيعات ؟ وهل من الحكمة أن يعود فريق آخر منهم الى مثلها ؟

(٣) ان خلافة سلاطين بني عثمان لم تكن خلافة شرعية صحيحة بحيث يعد الواحد منهم امام المسلمين الحق كما اعترفوا هم بذلك ، وانما كانت خلافة

(١) بعد تقديم هذه المذكرة للطبع نشرت الجرائد المصرية خبر وفاته رحمه الله تعالى

تغلب يطاع أمر خلفائها شرعاً فيما لا يخالف الشرع لحفظ النظام واقامة الأحكام واتقاء الفتنة وسفك الدماء ، وقد نقل الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ان المتغلبين على الحكم بالقوة حكمهم حكم البغاة الخارجين على الامام ، فاذا وجد الامام الحق وجب عليه قتالهم واكراههم على طاعته اذا قدر ، وانما كان أكثر المسلمين في غير بلادهم يعترف بخلافتهم لاعتزاز المسلمين بدولتهم التي صارت الدولة الاسلامية الوحيدة التي تعترف جميع دول الأرض بها وتحسب حسابا لجيشها . فكان اعترافا سياسياً وجدانياً ، أشد المسلمين تعصباً له ، وعطفاً عليه ، هم المستدلون باستيلاء الاجانب عليهم . وكانوا يتناقلون أنهم ورثوا الخلافة ارثاً شرعياً بنزول آخر الخلفاء العباسيين لهم عنها ، ومن أدلة عامتهم عليها وجود الآثار النبوية عندهم وحفظهم للحرمين الشريفين . فمجموعة مزاياهم لا توجد في حكومة اسلامية ولا شعب اسلامي . والمهم منها هو القوة العسكرية المنظمة مع الاستقلال المعترف به من جميع دول الأرض . على أن هذا كله لم يخرج خلافتهم من حكم التغلب الى حكم الامامة الحق ، ولربما لهذا كانوا يرجون في الحرب العامة عند ما أعلنوا الجهاد الشرعي

فتبين بهذه الأمور أن نصب خليفة غير مستجمع للشروط الشرعية ببيعة صحيحة شرعية لا يكون اقامة للشرع ، ولا وسيلة لجمع كلمة المسلمين على امام واحد ، ولا لاعتراف اكثر شعوبهم به ، وانتفاعهم بما عسى أن يوضع من نظام لخلافته — وبعد هذا التمهيد أعود إلى أصل الموضوع فأقول :

من المعلوم بالقطع أن ذهاب الأصل يتبعه الفرع ، وأن لا بقاء للثمرة إلا ببقاء الشجرة ، فاضاعة المسلمين لنظام الامامة العظمى ، وتفريطهم في منصب خلافة النبوة ، أضاع عليهم ما أوجبه الشرع بهذا النظام وجعله ثمرة له : من حراسة الدين ، وعزة الملة والدعوة ، ووحدة الأمة ، وحفظ مصالحها الدينية والدنيوية ، وكل ما يشكوه عقلاؤهم ودهماؤهم منه في أمورهم العامة من مصالح ضائعة ، ومفاسد ذائعة ، وفرائض متروكة ، ومحرمات مستباحة ، فهو من فروع ذلك الأصل ، ولا سبيل إلى اقامة تلك المصالح ، ودرء هاتيك المفاسد ، إلا باعادة منصب الخلافة النبوية

على وجهه الشرعي الصحيح الذي اجمع عليه سلف الأمة ، فاذا تعذر ذلك الآن فما الذي يجب على زعماء المسلمين الذين يعنون بمصلحتهم العامة من اتخاذ الوسائل له والتمهيدات لاقامته ، والذي يطالب هذا المؤتمر بتقريره والسعي لتنفيذه ? الذي أراه انه يجب السعي الى إيجاد الوسائل الثلاث الآتية :

(١) أهل الحلّ والعقد

قد ناط الشرع الاسلامي أمر الحكم والسلطان بالأمة ، وجعل اجماعها حجة ، وضمن لها أن لاتجتمع على ضلاله ، وانما يمثل ارادة الأمة ويعبر عن اجماعها الكلي أو الأغلبي زعماؤها الذين هم محلّ ثقتها ، وأهل الحل والعقد في شؤونها ، الذين تتبع جماعتهم في جملة المصالح العامة ، وتتبع الافراد أو الهيئات الخاصة منهم في كل نوع منها ، كعلماء الدين في الأحكام الدينية ، وقواد الجيوش في الأمور العسكرية ، والاطباء في الاحتياطات الصحية ، وأولي الرأي والتجارب والمعرفة في المصالح السياسية والادارية والفنيين البارعين في الأعمال الفنية ، الخ ويعتبر في كل فريق من هؤلاء ، وغيرهم الغيرة على الأمة والصدق والاخلاص في خدمتها بحيث يكون موثوقا بأخذ الجمهور منها

وقد صرح أعلام الملة من علماء الأصول والفروع بأن مدار انعقاد الخلافة على بيعة أهل الحل والعقد في الأمة فهم الذين ينصبون الامام ، وهم الذين لهم الحق في خلعه عند وجود المقتضي وانتفاء المانع الراجح ، فأول مايجب على أهل العلم بمصلحة الأمة ذوي الغيرة والرأي من أعضاء مؤتمر الخلافة وغيرهم هو البحث عن أهل الحل والعقد في كل شعب من شعوب المسلمين حيث وجدوا ، والسعي لايجادهم حيث فقدوا ، ووضع نظام للتعارف والتعاون بينهم ، وإعلام الجاهلين منهم بما أوجبه الله عليهم ، فان أكثر زعماء القبائل البدوية و كثير من البلاد القريبة من البداوة قد استحوذ عليهم الجهل المطبق ، فهم لايعرفون مصلحة قبائلهم وبلادهم في دينهم ودنياهم فضلا عن مصالح الملة العامة ، بل أقول إن أكثر زعماء البلاد الحضرية لايعرفون أحكام الخلافة الاسلامية ومزاياها التي تفضل بها سائر أنظمة الحكم في شعوب الحضارة .

(٢) النظام الذي يوضع لمعرفة من يوجد من أهل الحل والعقد وأين يوجدون ومن هم ؟ ولايجاد جماعة منهم بالوسائل العصرية المعروفة في تأليف الاحزاب والجمعيات والنقابات .

فانه لايمكن إيجاد خلافة عامة تعترف بها جميع الشعوب الاسلامية أو أكثرها إلا بوجود جماعة أهل الحل والعقد في جميعها أو أكثرها ، وتعارف هذه الجماعات أو أكثرها وتواطئهم (أولا) على نظام الخلافة يناسب حال هذا الزمان (وثانياً) على المكان الذي يختار لنصب الخليفة فيه (وثالثاً وأخيراً) على الشخص الذي يختار للخلافة ثم تبايعه تلك الجماعات

اذا ابتدأ المسلمون بالسعي لهذا عقب انفضاض المؤتمر ، فمن الجائز أن يتم النجاح في آحاد من السنين ، وليس من الكثير أن يحتاج الى عشرات السنين ، ولا يجوز لهم اليأس اذا لم يتم لهم في العشرات ، فإن ماهدم في عدة قرون لا يسهل اعادة بنائه في أقل منها إلا بتوفيق من الله تعالى

(٣) نظام الخلافة المناسب لهذا العصر

يجب أن يراعى في هذا النظام :

(أولا) ألا يستطيع الخليفة أن يستبد بالامر إذا زينت له نفسه ذلك

(ثانياً) أن يكون مستجمعاً للشروط الشرعية حتى لايكون لأحد زعماء المسلمين عذر في رفض بيعته ، أو استحلال عصيانه ، وذلك بانشاء مدرسة يتخرج فيها الخلفاء ، والمجتهدون المستجمعون لصفات أهل الحل والعقد شرعا ولشروط القضاء الشرعي

(ثالثا) أن تبنى الاحكام ونظم الدولة في مملكة الخلافة على التشريع الاسلامي بنصوص الكتاب والسنة القطعية الجامعة بين العدل والرحمة والمساواة الصحيحة وبالاجتهاد في غير القطعي الذي مداره على درء المفاسد ، ومراعاة المصالح ، واليسر ورفع الحرج ، واباحة

الضرورات المحظورات ، مع تقديرها بقدرها ، وغير ذلك من القواعد العامة الصالحة لكل زمان ومكان

(رابعاً) أن يكتفى من الشعوب الاسلامية غير الحرة المستقلة في امرها، ولا القادرة على اتباع سلطان الخلافة في أحكامها ، بأن تكون مرتبطة بمقام الخلافة في شؤونها الدينية كدعاية الاسلام الدينية المحضة ، والدفاع عنه ، وصيانته من الالحاد والتعطيل ، ومن البدع والخرافات ، وفي منهاج التعليم الديني ، وخطب الجمعة والاعياد ، وغير ذلك من التعاون على البر والتقوى واعمال الخير البريئة من السياسة وشبهاتها

(خامسا) اتقاء كل مايعد عدوانا على حكومات هذه الشعوب أو حجة محجة لانتحال السلطان عليها ، وقطع الصلة الروحية المعنوية بينها وبين امام دينها الاعظم

وانني مستعد لتأليف رسالة أو كتاب في تفصيل هذه المسائل اذا قررها المؤتمر لأجل عرضها على المؤتمر الثاني الذي ينعقد بعده ، واختم كلامي باقتراح عقد مؤتمر آخر لذلك يعين مكانه بأصوات الشعوب والاقطار التي يتألف المؤتمر من رجالها ، بحيث يكون لأهل كل قطر صوت واحد في ذلك ، وأحمد الله على توفيق الامة لعقد هذا المؤتمر واسأله تعالى أن يوفقها في مستقبلها الى خير منه ، وصلى الله وسلم على محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، وخلفائه الراشدين ، وصحابته المرشدين وسائر الخلفاء وأئمة العلم العاملين ، والسلام على جماعة المؤتمرين

من أخيهم

محمد رشيد رضا

منشىء المنار الاسلامي

الصحة

تأليف		ترجمة
زعيم الهندوس الاكبر		الاستاذ الشيخ عبد الرزاق
مهاتما غاندي		المليح آبادي

بحث في الاغذية والاشربة

ينبغي لنا قبل الخوض في هذه المسألة أن نعرف الاغذية التي تضر بصحتنا فيجب علينا اجتنابها ، نحن نطلق كلمة (الغذاء) على كل ما يدخل الجسم من طريق الفم — حتى الخمر والحشيش والافيون والتبغ والشاي والقهوة والكاكاو والبهارات والمحرقات . إني موقن بأن جميع هذه الاشياء مضرة بالصحة ويجب تركها بتاتاً ، وقد علمت ذلك بتجاربي الشخصية وتجارب الآخرين

ان الخمر والحشيش والافيون قد قبحتها جميع الاديان بلسان واحد ، ولكن مع ذلك نرى عدد المجتنبين لها قليلا بالنسبة إلى المتهافتين عليها ، ان الخمر قد أهلكت بيوتاً وأسراً بأهلها ، والسكير ينال جزاءه في صحته ، وهو يعرف بنفسه أنه ينسى في سكره الفرق حتى بين أمه وزوجته وابنته ! ان حياته تصبح ثقلا محضاً عليه ، والسكارى كثيراً ما يوجدون ملقين في المراحيض ومجاري المياه الوسخة وإن الناس الصحاح الحواس أيضاً يصبحون آلات صماء عاجزة عند ما يتعوّدون الشرب ، بل إن قواهم العقلية تضعف فلا تؤدي وظيفتها حتى في حالة الصحو يقول بعض الناس : ان الخمر غير مضرة اذا استعملت كالدواء ، ولكن حتى الاطباء الاوربيون قد أخذوا الآن يتحوّلون عن هذا الرأي في أكثر الاحوال ، يقول بعض حماة الخمر : بأنه اذا كان يجوز استعمالها كالدواء بلا مضرة ، فكذلك يجوز استعمالها كالسكر أيضاً ولكنهم ينسون أن كثيراً من السموم كذلك تستعمل كالدواء ، فهل تتصوّر أن نستعملها كالغذاء ؟ قد تنفع الخمر بعض النفع في بعض

الامراض ، ولكن مع ذلك لا ينبغي لانسان مفكر عاقل أن يرضى باستعمالها حتى كالدواء في حال من الاحوال ، وان كان لابد له من ذلك فلاجدر به أن يفدي بجسمه الفاني على أن يرضى باستعمال شيء قد جلب الخراب والهلاك على الملايين من البشر ، ان من حسن الحظ أنه لا يزال يوجد في الهند الى هذا الزمن ألوف مؤلفة من الرجال والنساء لم يتناولوا ولا قطرة واحدة من الخمر قط ، ان هؤلاء الناس يفضلون الموت على أن يأكلوا أو يشربوا ما يحترزون منه ، ولو أمرتهم الاطباء بذلك

أما الافيون فليس أقل ضرراً من الخمر ، ويجب اجتنابه كما يجب اجتناب الخمر ، ألا نعتبر بأمة عظيمة قوية كأمة الصين قد أصبحت عاجزة عن حفظ استقلالها بسبب افتتانها بفتنة الافيون المميتة ؟ أولا نرى الاغنياء وأصحاب الاملاك في بلادنا تقريبا قد [illegible] أملاكا [illegible] مفتونون بهذه الفتنة العمياء ؟

إن فتنة الدخان كذلك قد نسجت ثوبها السميك على عقول البشر نسجا محكما ، حتى انه [illegible] الشباب والشيوخ قد وقعوا في هذه الفتنة العمياء [illegible] أفاضل الناس لايترددون في استعمال التبغ . والتدخين يكاد أن يصير طبعاً ثانياً لنا ، ويزداد كل يوم انتشاراً ورواجا — قليل من الناس يعلمون الدسائس المتنوعة التي يستعملها صناع السجاير لاتقانها في شراك الدخان أكثر فأكثر ، فهم يرشون التبغ بمحلول الافيون وغيره من الحوامض المعطرة لكي تعاني أشد المصاعب في تحرير نفوسنا من قبضته اذا أردنا ذلك ، وهم كذلك ينفقون الالوف من الجنيهات في الاعلانات ، وقد أسس كثير من الشركات الاوربية للسجاير المطابع ، وأعدت لها الصور المتحركة والبانصيب ، وأخذت في تفريق الجوائز ، كل ذلك للترغيب فيه . والحاصل أنها تصب المال صبا كلما لنشر دعوتها ونيل بغيتها ، بل النساء أيضاً قد أخذن الآن في التدخين ، وقد نظمت القصائد في مدح التبغ ، ومجدته الشعراء ، ورفعت شأنه ، ووصفته « بالصديق الحميم للفقراء »

إن مضار التدخين كثيرة جداً لا يتيسر عدها للبيان ، والدخان يصبح عبداً

خاضعاً التبغ الى درجة يفقد فيها كل شعور الحياء والخجل ، فهو لا يزال ينفخ الدخان العفن حتى في بيوت الاجانب ! لقد أثبتت التجارب العامة بأن المدخنين كثيراً ما يقدمون على ارتكاب الجنايات على اختلاف أنواعها للحصول على الدخان . فالصبيان يسرقون الدراهم من أكياس والديهم ، والمسجونون في السجون يديرون الحيل لاسترق السجاير ، ويبدون مهارة في إخفائها : إن المدخن يستطيع البقاء بدون أكل حيناً من الزمن ، ولكنه يرى نفسه عاجزاً عن الصبر بدون دخانه ! لقد وجدت الجنود في ميادين الحروب تفقد كل مقدرة على الحرب في أحرج الاوقات اذا حرمت من السجاير التي قد اعتادتها !

إن المرحوم الكونت (ليون تولستوي) الروسي قص علينا الحكاية الآتية : رجل أراد لسبب ما قتل زوجته فاستل مديته وهمّ بالجناية ، ولكنه أحس حالا بالندامة والاسف فأعرض عنه وجلس للتدخين فلم يلبث أن غشي مشاعره تأثير التبغ فقام من فوره [illegible] واستدل الحكيم بهذه الحكاية على أن الدخان أشد [illegible] أو أكبر خطراً منها

ثم إن المبالغ التي تنفق على السجاير والسيجار Cigar كبيرة جداً وقد أعرف بنفسي أناساً ينفقون على السجار ٧٥ روبية في كل شهر!

إن التدخين يوجب انحطاطا كبيراً في قوة الهضم ، فالمدخن لا يشعر بالميل الى الغذاء . ولاجل أن يجعله مرغوبا فيه نوعا ما يستعمل فيه البهارات ويستعمل معه المربيات والمعوقات بكثرة ، ثم ان نفسه يتعفن ويظهر في بعض الحالات على وجهه البثور والنقطات ، وتسود الاسنان واللثة ، بل يقع كثير منهم بسبب هذه العادة الخبيثة في أمراض خطرة ، إن دخان التبغ يعفن الهواء ويفسده فتضرر بسببه الصحة العامة ضرراً كبيراً ، وإني لا أستطيع أن أفهم كيف يتجرأ أولئك الذين يقبحون الخمر على حماية الدخان ، وإني لا أتردد في القول بأن الذي لا يجتنب التبغ في جميع أشكاله لا يمكن أن يكون صحيحاً كامل الصحة .

ان استعمال المسكرات مثل الخمر وغيرها لا يؤدي الى انحطاط القوى الجسمية والعقلية وخسارة المال فحسب ، بل كذلك يضعف الاخلاق ويقضي على كل قوة ضابطة للنفس

نحن نقدم الشاي أو القهوة حتى لأولئك الذين يزوروننا بغتة . وان الدعوات للشاي أصبحت الآن يومية . قد زاد رواج الشاي في الهند من عهد اللورد كرزون ازدياداً عظيما ، وكذلك زاد ترغيبه تاجه بسرعة حتى أصبح استعماله الآن عاما في كل بيت تقريباً ، لقد عمت هذه الأشياء الى درجة كبيرة ، حتى أصبح المرضى كذلك يشربون الشاي والكاكاو ويعدونها من الغذاء المقوي

اني أؤكد بكل قوة أن الشاي والكاكاو والقهوة كل هذه المنبهات مضرة مفسدة للصحة على سواء ، لأنها تحتوى على نوع من السم ، مع علمي بأنه لا يوافقني في ذلك الا القليل من الناس ، أما الشاي والقهوة فان لم يخلط معها اللبن والسكر فليس فيها أية مادة مغذية ، وقد ثبت بالتجارب المتوالية الكثيرة انه لا يوجد في شيء من هذه الأشياء ما من شأنه اصلاح الهاضمة ، وقد كنا الى قبل سنوات نشرب الشاي والقهوة في مواسم خاصة ولكن قد أصبحت الآن هذه العادة عامة لازمة .

ان من حسن الحظ ان الكاكاو [illegible] يستعمل في بيوت الأغنياء بكل حرية الا أن غلاءه [illegible] العامة [illegible] الشاي والقهوة ،

ان الشاي والكاكاو والقهوة [illegible] لكونها تحتوي على مواد مضعفة لقوى الهضم ، وان أردت أن تختبر ذلك بنفسك فيمكنك أن تعلمه من هذا الأمر الواقع ، وهو ان الذين تعودوها مرة [1] يصعب عليهم أن يعيشوا بعد ذلك بدونها : لقد جربت ذلك بنفسي في أيامي الماضية ، أيام كنت أستعمل الشاي ، فكنت إن لم أشربه في ساعته المعينة أحس بالكسل والارتخاء في الأعضاء .

---

(١) ان المرة الواحدة لا تؤثر هذا التأثير الا في بعض الاشخاص ، فكان يكفي ان يقول : تعودوها . فتصدق على مثله من باب قول بعض الفقهاء العادة تثبت بالمرة . وأنا أقول ان المرة الواحدة التي جربت بها دخان التبغ في الصغر هي التي صدتني عن الثانية . وأما الشاي والقهوة فان شربهما مرارا كثيرة في كل سنة لم يجعله عادة يصعب علي أن أعيش بدونهما فقد تمر أشهر كثيرة لا أشربهما فيها وسبب ذلك اني أشربهما تداويا أو تغذيا في الاكثر لا لأجل تأثيرهما في العصب من غير توقيت الا ما يكون من شرب الشاي مع طعام الصباح في غير أيام الصيف ، وقلما أشربه في الصيف

قد اجتمعت مرة ٤٠٠ امرأة وصبي في حفلة ، وكان قد قرر القائمون بها أن لا يقدموا الشاي للمدعوين ، فماذا كانت حالة هذه النسوة اللاتي كن متعودات على الشاي في الساعة الرابعة مساء ؟ إنهن بادرن حالا إلى إعلام أصحاب الحفلة بأننا ان لم نتناول شاينا المعتاد نمرض ونعجز عن الحركة ! فاضطروا هم الى نسخ عزمهم ، وأمروا بتحضير الشاي ، وكان التأخير القليل الذي حصل أثناء التحضير قد أحدث صخباً كبيرا ، وفتورا عاما في النسوة ، ولم يعدن الى رشدهن الا بعد ان شربن الشاي !

ليست هذه الحكاية وضعية فكاهية ، بل واقعة قد وقعت وأنا أشهد بصحتها ، وكذلك رأيت حادثة أخرى مثلها وهي : ان احدى النساء فقدت جميع قواها الهاضمية بسبب الشاي وأصبحت فريسة لصداع شديد مزمن ، ولكنها منذ الساعة التي تابت فيها عن استعمال الشاي ، أخذت صحتها تتحسن شيئا فشيئا ، ان طبيباً من أطباء [illegible] بعد تحقيق دقيق بأن فساد القوى العقلية [illegible] لانتشار الشاي فيها انتشاراً عظيما . وقد شاهدت أناسا كثيرين قد فقدوا صحتهم بسبب الشاي.

وقد قال شاعر هندي في وصف القهوة « إنها تزيل البلغم والنفاخ ، ولكنها مع ذلك تضعف الرجولية ، وترقق المني ، وترقق الدم ففيها نفعان وثلاث مضرات »

ليظهر أن الشاعر قد صدق ، فان للقهوة بعض التأثير في البلغم والنفاخ ولكنها في الوقت نفسه تضعف الجسم بالقضاء على المادة المنوية الضرورية ، وترقق الدم فتجعله كالمصل . ونحن نقترح على الذين يدافعون عن القهوة بنفعها في البلغم والنفاخ استعمال سائل الزنجبيل الذي هو أنفع لهم منها لهذا الغرض . ومن جهة أخرى لا ينبغي أن ننسى أن اثم القهوة أكبر من نفعها . فاذا كان شيء يفسد المادة المنوية ويسمم الدم افلا يجب اجتنابه البتة ؟

أما الكاكاو فهو كذلك مضر كالقهوة ، بل كالشاي . لأنه يحتوي على سم يضعف احساس الجلد .

ان الذين يسلمون بقوة الملاحظات الأخلاقية في هذه الأشياء يجب أن

يتذكروا دائماً أن الشاي والقهوة والكاكاو كلها انما ينتجها في الاكثر تعب العمال تحت شروط « التعهد » الذي ليس هو إلا اسم حسن العبودية . اننا لو ندري بأعيننا تلك المعاملة القاسية التي يعامل بها العمال في بساتين الكاكاو لانعود الى استعماله أبداً . وكذلك لو كنا نحقق الطرق التي تعالج بها جميع أطعمتنا بالتدقيق لكنا نترك ٩٠ في المائة منها بلا ريب

انه يمكن تحضير بدل غير مضر بل صحي للقهوة (والشاي والكاكاو) أيضاً بكل سهولة ، ولا يستطيع حتى الذين ألفوا شرب القهوة كثيراً أن يجدوا فيه مايفرقون به بين طعم القهوة وبينه : يوضع قمح جيد منتقى في مرجل فوق النار فيقلى حتى يحمر احمراراً ويضرب إلى السواد ، فينزل عند ذلك ويسحق كالبن ثم اذا أردت أن تشربه تأخذ من المسحوق ملعقة وضعها في الفنجان وصب من فوقه ماء فاتراً ، وإن وضعته على النار مدة دقيقة فأحسن ، وتزيد فيه اللبن والسكر إن شئت [illegible] وأصح من القهوة . وأما الذين لا يريدون [illegible] المسحوق فلهم أن يطلبوه [1] من « Satyagraha Ashram Ahmedabad »

الغذاء

يمكن تقسيم النوع البشري من جهة الغذاء ثلاثة أقسام كبيرة :

(فالقسم الاول) وهو أعظمها الذين يقتاتون بالنباتات وحدها لرغبتهم فيها وتفضيلها أو لعجزهم عن الحصول على غيرها . ويدخل في هذا القسم معظم الهند وكثير من أهل أوربة والصين واليابان . ويجتنب اللحم عدد قليل من هذا القسم لأسباب دينية ، والباقي يرحب به إن وجده . ويدخل في هذا القسم المضطر الطليان والايرلنديون وأكثر الاسكوتش ، وفلاحو الروس المساكين ، وجميع

(١) المنار : يوجد بعض الازهار الخالية من مثل المواد السامة التي توجد في الشاي والقهوة ولا تخلو من تفريح كالزيزفون وهي هاضمة وبعضها أنفع من القهوة للصدر وهي كثيرة ومنها البابونج المشهور

أهالي الصين واليابان تقريباً . فقوام غذاء الطليان المكرونا ، وأهل إرلندا البطاطس ، وأهل اسكتلندا دقيق الذرة ، وأهل الصين واليابان الرز

(والقسم الثاني) الذين يعيشون بالاغذية المخلوطة . ويدخل فيه أكثر أهالي انكلترا والطبقة الغنية من الصين واليابان ومسلمو الهند ، وكذلك الأغنياء من الهندوس الذين لايرون بأساً دينياً بأكل اللحم . وهذا القسم كذلك كبير وإن كان أقل من القسم الأول .

(القسم الثالث) سكان المناطق الباردة غير المتمدينين الذين يعيشون على اللحم وحده . وعددهم ليس بكثير ، بل هم أيضاً يضيفون إلى غذائهم النباتات كلما ازدادوا اتصالا بالأمم الاوربية المتمدنة . فعلم من ذلك أن الانسان يعيش على ثلاثة أقسام من الغذاء . ومن الواجب علينا أن نبحث في الغذاء الأصلح لنا

إن التحقيق الدقيق في الجسم الانساني ينتهي بنا إلى الجزم بأن الفطرة البشرية تقتضي أن يعيش الانسان على الغذاء النباتي وحده لأن هناك علاقة قريبة جداً بين أعضاء الجسم الانساني وأعضاء الحيوانات التي تعيش على الثمار[١] فالقرد مثلا وهو أشبه بالانسان في شكله وتركيب بنيته ولاسيما أسنانه ومعدته يقتات بالثمار وحدها . على حين نرى الحيوانات التي تأكل اللحم كالأسد والنمر مثلا تختلف هيئة أعضائها عن الانسان كل الاختلاف . كذلك يوجد بعض الاشتراك بين أعضاء الانسان وبين الحيوانات التي تأكل النباتات كالبقر ولكن امعاءها أكبر من امعائه ، ومخالفته لها في التركيب

فمن هذا استنتج كثير من العلماء أن الانسان لم يخلق ليعيش على اللحم ولا على النباتات ، بل على الجذور والثمار .

وقد وجد العلماء بالتجارب أن الثمار تحتوي على جميع تلك المواد التي يحتاج اليها الانسان في غذائه . فالموز والبرتقال والتمر والعنب والتفاح واللوز والجوز والفول السوداني ، والجوز الهندي كل هذه الفواكه تحتوي على مقدار كبير من

(١) المنار : يريد بالثمار مايشمل الحبوب والفاكهة وكذا البقول أي الاغذية النباتية والثمر في أصل اللغة الحمل الذي يخرجه الشجر وجمعه ثمار

المواد الغذائية . وقد قال كثير من العلماء بأن الانسان لايحتاج بطبعه إلى معالجة الطعام بالطبخ . وحجتهم في ذلك أنه مثل سائر الحيوانات يستطيع أن يعيش بكل سهولة على الغذاء الذي تنضجه حرارة الشمس . ثم هم يقولون إن أكثر المواد الغذائية تهلك أثناء الطبخ ، وأن الاشياء التي لاتؤكل نيئة لايمكن أن تكون قد خلقت لغذائنا .

فان كان هـذا الرأي حقاً فانا عبثاً نضيع كثيراً من وقتنا الثمين في طبخ طعامنا ان كنا نستطيع أن نقتصر على الغذاء غير المطبوخ فنقتصد وقتاً كبيراً وقوة كبيرة ، ومالا كثيراً ، وننفقها جميعاً في الامور النافعة .

لا ريب أن أكثر الناس يضحـكون من ذلك ويسخرون من كل من يظن أن الانسان سوف يتعود الطعام غير المطبوخ لانهم لايتصورونه يقبل هذا أبداً . ولكننا لا نبحث الآن فيما يقبله الانسان ومالا يقبلونه نبحث فيما يجب ان يفعلوه . فانا إذا [illegible] بعد ذلك أن نقرب عملنا المثل الأعلى [illegible] الأغذية ولا نؤمل أن جميع الناس يأخذون قولنا قضية مسلمة ويقبلون على أكلها وحدها . بل انما نقصد بذلك أنهم « إن » تعودوا هذا الغذاء فانه يكون أحسن لهم وأنفع

يوجد في انكلترا كثير من الناس قد اقتصروا على الثمار وحدها ودولوا نتائج تجاربهم إن هؤلاء الناس ما اتخذوا هـذا الغذاء لأسباب دينية بل من الوجهة الصحية فقط .

وقد ألف دكتور ألماني اسمه Lust كتابا ضخما في الموضوع ، اثبت فيه قيمة غذاء الثمار بكثير من الدلائل والشهادات . وكذلك قد عالج كثيراً من الامراض بوصف هذا الغذاء مصحوبا بالمعيشة في الهواء الطلق . وقد توسع في كلامه حتى قال إن أهالي كل قطر يمكنهم ان يجدوا جميع المواد المغـذية لهم في ثمار قطرهم نفسه

استسمح القراء في أن أثبت هنا تجربتي الشخصية في المسئلة . اني أعيش منذ ستة أشهر على الثمار وحدها تاركا حتى الحليب واللبن الحامض . إن طعامي

الآن يحتوي على الموز والفول السوداني والتمر وزيت الزيتون مصحوباً ببعض الفواكه الحامضة كالليمون . وليس في وسعي أن أقول إن تجربتي قد نجحت تماماً . لان مدة ستة أشهر أقل بكثير من ان تصلح للحكم النهائي في مثل هذه المسألة المهمة ، مسألة تغيير الغذاء الانساني . وكل ما يمكنني أن أقول هو أني قدرت ان أبقى صحيحاً بينما أصيب الآخرون بأمراض ، وأن قواي الجسمية ، العقلية لاقوى الآن من ذي قبل فاستطيع الاشتغال بالشغل العقلي أكثر من قبل مع ثبات وعزم أكثر . وقد جربت غذاء الثمار في كثير من المرضى مع نجاح كبير مطرد متشابه . وسأذكر بعض هذه التجارب في فصل الامراض . وهنا اقتصر في الكلام على القول بان تجربتي الشخصية وكذلك مطالعتي في الموضوع قد زادتني رسوخاً في اعتقادي بأن غذاء الثمار أحسن غذاء الانسان

واني كما اعترفت آنفاً لا أتصور لحظة بأن الناس بمجرد قراءتهم هذا الكتاب يكبون على هذا الغذاء بل لا أستبعد أن كل ما كتبته لا يؤثر أدنى تأثير حتى على واحد من القراء . ولكني أعتقد بأنه مفروض علي أن أقدم الى الناس كل ما أعتقده حقاً حسب علمي ومعرفتي .

وعلى كل حال فمن أراد أن يجرب هذا الغذاء يجب عليه أن يتدرج فيه بكل انتباه وتحذر لينال أحسن النتائج . يجب عليه أن يطالع قبل البدء في العمل جميع فصول هذا الكتاب بامعان ويذعن لقواعد الأصول الاساسية التي بينت فيه . ورجائي من القراء ان لا يستعجلوا في حكمهم النهائي حتى يفرغوا من سماع كل ما أريد أن أقوله لهم .

ان الغذاء النباتي أحسن غذاء بعد غذاء الثمار . نحن نطلق كلمة النبات على جميع أنواع الخضراوات والحبوب وكذلك على اللبن . ان النباتات ليست مغذية كالثمار لأنها تفقد جزءاً من قوتها أثناء الطبخ ولا بد من طبخها لأنه يتعذر أكلها نية . لنرى الآن أحسن النباتات وأجودها وأصلحها للغذاء .

ان القمح أحسن أنواع الحبوب . فالانسان يقدر ان يعيش عليه وحده دون غيره ، لأنه يحتوي على القدر المناسب من جميع المواد المغذية . وكذلك

يمكن تحضير كثير من المأكولات منه وكلها يمكن هضمها بسهولة . إن الأغذية المحضرة التي تباع عند السكبا وبين للاطفال يصنع معظمها من القمح . ومثله الدخن والذرة ويمكن صنع الكعك والخبز منهما أيضا ولكنهما أقل درجة من القمح في قيمتهما الغذائية . لنرى الآن أحسن شكل لاستعمال القمح . ان الدقيق الابيض المطحون في الطاحونات الذي يباع في أسواقنا غير نافع لخلوه من كل مادة مغذية . وقد قال دكتور انكليزي إن كلبا كان يطعم من هذا الدقيق وحده فمات بعد زمن بينما الكلاب الأخرى التي كانت تأكل من دقيق أحسن منه قد عاشت صحيحة صحة تامة . إن أقبال الناس عامة بهذه الرغبة الشديدة على خبز هذا الدقيق ليس الا لأنهم يأكلون للاستمتاع ولا يبالون بالصحة مطلقاً . ان هذا النوع من الخبز لا يكون له أي طعم ولا تبقى فيه أي مادة من المواد الغذائية . ثم فوق هذا لا يكون خبزه لينة بل كثيرا ما تصلب حتى يتعذر كسرها [illegible] دقيق [illegible] ذلك الذي يطحن من القمح النظيف في الرحى [illegible] في البيت [illegible] بدون التصفية المزيدة . ويكون خبزه حلواً جداً ولينا للغاية : وهو يبقى أ[illegible] كثر مما يبقى دقيق الطاحونة لأنه يحتوي على المواد الغذائية أكثر منه ويمكن استعماله في كمية أقل منه .

إن الأرغفة التي تباع في الاسواق لا فائدة منها أصلا فهي قد تكون بيضاء جميلة . لكنها دائما مغشوش ماقيها . وأقبح مافيها أنها تصنع من العجين المخمر الذي قال عنه كثير من الناس بعد التجربة أنه مضر بالصحة . ثم أنها فوق هذا تصنع في الأفران المطلية بالشحم ، وهذا هو مما لا يوافق عواطف الهندوس والمسلمين على السواء . إن شحن البطن بهذه الأرغفة من السوق عوضا من خبز الخبز الجيد في البيت لدليل كبير على الكسل

ولاستعمال القمح طريقة سهلة غير هذه الطريقة . وهي أن يجرش القمح ثم يطبخ ويخلط عليه اللبن والسكر . ان هذا يهيء طعاما لذيذاً صحيحاً

ان الرز غذاء غير نافع بالمرة . ومما يرتاب فيه هو هل يمكن للانسان أن

يعيش بالرز وحده بدون أن يزيد معه الاشياء المغذية كالعدس واللبن خلافا للقمح الذي يمكن الاقتصار عليه وحده حين يغليه في الماء

نحن نأكل البقول لطعمها فقط وبما أنها تحتوي على المواد الملينة المسهلة فهي تساعد في تنظيف الدم الى حدما . ولكنها مع ذلك ليست الا الحشيش في شكل آخر وعسرة جداً في الهضم . أما الذين يكثرون استعمالها فتضعف أبدانهم ويشكون في أكثر الاحيان سوء الهضم ويبحثون دائما عن العقاقير والمسحوقات الهاضمة . فعلى هذا ان كان لابد من استعمالها فيجب الاعتدال فيه .

إن أنواع العدس كلها عسرة الهضم وكل ما فيها من الجودة هو أن الذين يأكلونها لايجوعون وقتا طويلا ولكنهم في الأكثر يصابون بسوء الهضم . نعم ربما يستطيع هضمها الذين يشتغلون بالاشغال المتعبة بل ربما يستفيدون منها بعض الفائدة . ولكن نحن الذين نعيش عيشة الجلوس والكسل يجب أن نحترس كثيراً في أكله .

إن الكاتب الانكليزي السيد المكتور هيج [illegible] يقول لنا على أساس التجارب المتوالية بأن أنواع العدس كلها مضرة بالصحة لانها تولد في الجسم الايسيد acid الذي يسبب أمراضاً مختلفة ويجلب الشيخوخة قبل أوانها . ولا حاجة إلى سوق دلائله هنا ، فاني متأكد بصحة تجربتي الشخصية . وعلى كل حال فالذين لا يستطيعون ، أو لا يريدون الاجتناب التام عن العدس يجب عليهم ان يأكلوه باحتراس كبير .

إن البهارات والتوابل شائعة في الهند شيوعاً عظيما ، خلافا لسائر العالم ، حتى إن السود من افريقيا ينفرون من توابلنا ، ويرفضون أن يأكلوا طعامنا المخلوط بالبهارات والبيض لانهم اذا أكلوا التوابل تفسد معدهم ، وتظهر البثور على وجوههم ، كما أني وجدت ذلك بتجربتي الشخصية . والحقيقة أن التوابل ليست لذيذة في ذاتها في حال من الاحوال ، ولكنا قد ألفناها من زمن طويل فيروق لنا طعمها ورائحتها . وهي مهما تكن لذيذة فان من الخطأ الفاحش كما قد قررنا آنفاً ، أن نرغب بكل شيء لمجرد طعمه ولذته .

لماذا انتشرت هذه البهارات والتوابل بيننا هذا الانتشار الكبير ؟ لاشك أن السبب الوحيد هو الاستعانة بها على هضم الطعام تستطيع الاكثار من الاكل، إن في الفلفل والكزبرة والكمون وغيرها من التوابل قوة كاذبة للاعانة على الهضم وايجاد نوع من الجوع الكاذب . ولكن من الخطأ أن يظن المرء من هذا بأن الطعام كله قد انهضم وتحلل في الجسم . ان الذين يكثرون أكل التوابل يصابون أحياناً بفقر الدم وكذلك بالاسهال . اني أعرف رجلا قد مات في عنفوان شبابه لاكثاره من أكل الفلفل الاحمر كثرة زائدة . ولذلك يتحتم اجتناب جميع أنواع التوابل بلا استثناء .

كل ماقيل في البهارات يقال في الملح ! قد يغضب كثير من الناس لهذا القول . ولكنه حقيقة قد ثبتت بالتجربة . [illegible] في انكلترا مذهباً يجزم بأن الملح أضر بالصحة من أكثر البهارات ، ثم اننا في الحقيقة لانحتاج إلى الملح الخارجي لأنه يوجد منه قدر كاف في [illegible] التي نأكلها . ان أمنا الطبيعة قد أودعت [illegible] من الملح [illegible] ضروري لبقاء صحتنا . أما الملح الزائد الذي نستعمله فوق ذلك فلا فائدة فيه أصلا . بل يخرج كله من الجسم في صورة العرق أو بأشكال أخرى ، وليس جزء من أجزائه يعمل عملا نافعاً في الجسم على مايظهره حتى إنه قال أحد الكتاب بأن الملح يسمم الدم ، وأن الذي لايأكل الملح مطلقاً يظل دمه نقياً إلى حد أنه لايؤثر عليه سم الثعبان اذا لدغه . لانعرف هل هذا حقيقة أم لا ؟ ولكننا تيقنا بالتجربة بأن المصابين بالبواسير وضيق النفس اذا تركوا الملح بتاتاً يستفيدون فائدة ظاهرة . ثم اني مارأيت ولا واحداً من الناس تضرر بسبب ترك الملح ، وقد تركته بنفسي من سنتين فلم أتضرر بذلك ، بل قد استفدت من بعض الجهات فانا لاأشرب الآن الماء بكثرة مثل ماكنت افعل أولا ، وأراني انشط وأقوى من ذي قبل . ان سبب هجراني الملح كان عجيباً جداً ، وكان ذلك لمرض شخص [1] قد أمره

(١) قد سألنا مهاتما غاندي عن هذا و الشخص ، فخبرنا انه زوجته وحكى لنا حكاية مرضها وقد سردناها في مقدمتنا على هذا الكتاب (المترجم)

الطبيب بترك الملح فتركه مكرهاً فخف مرضه ، ولكنه لم يزل تماماً لأنه عاد إلى الملح مع أنه لو هجره بتاتاً لشفي على ما اعتقد

ان الذين يتركون الملح ، يتركون معه النباتات والعدس أيضاً ، نعم هذا أمر صعب جداً كما قد علمت بالتجارب الكثيرة . واني متأكد بأن الخضروات والعدس لايمكن هضمها تماماً بدون الملح ، وليس معناه أن الملح يصلح قوة الهضم في نفس الأمر ، بل انما يبدأ بفعل ذلك كما يبدأ الفلفل ، وهو مع ذلك يجر إلى النتائج السيئة في الآخر . لاشك أن الذي يترك الملح بتاتاً يشعر بفتور واسترخاء بضعة أيام ، ولكنه إن ظل ثابتاً في ارادته يستفيد فائدة كبيرة جداً .

وهاأنا ذا أتجرأ الآن على عد اللبن أيضاً من الاشياء التي يجب تركها ؛ أقول ذلك عن تجربتي الشخصية التي لااحتاج إلى سردها هنا بتفاصيلها . ان الفكرة العامة بين الهندوس عن قيمة اللبن كمادة دينية (١) باطلة ، ولكنها قد رسخت أصولها في النفوس حتى [illegible] في قلعها . ولكني كما قد صرحت أكثر من مرة بأني لا أنتظر من قرائي انهم يقبلون جميع أفكاري بل لا أعتقد أن جميع الذين يوافقونني فيها عقلياً يعملون بها عملياً . ولكن مع ذلك أرى أنه واجب علي أن أقول ما أعتقده حقاً تاركا لقرائي الحكم . قال كثير من الاطباء إن اللبن يسبب نوعاً من الحمى ، وقد ألفت كتب كثيرة في تأييد هذا الرأي . ان جراثيم الأمراض التي تعيش في الهواء تمتزج بسرعة وسهولة في اللبن فتدخله وتسممه . وكذلك تصعب جداً المحافظة على اللبن طاهراً نظيفاً . وقد وضعت في افريقيا الجنوبية قوانين متقنة في شأن اللبن مبينة طرق غلي اللبن والمحافظة عليه ، وكيفية تنظيف الاواني وغير ذلك . فما دام اللبن يتطلب هذا التعب الكبير ، والاحتياط الشديد ، فلا ريب أنه يجب التفكر ملياً في مسألة استعماله كمادة من المواد الغذائية .

(١) الهندوس يقدسون البقر ويقدسون لبنها (المترجم)

رجال الدين في أمريكا

يعارضون عقد معاهدة مع أمة غير مسيحية

﴿ لتعتبر جريدة السياسة ، وجمعية الملاحدة بمصر ﴾

صرح السناتور بوراه رئيس لجنة العلائق الاجنبية في مجلس الامة الامريكي بعدم موافقته على طلب المائة والعشرة من أساقفة الكنيسة الايسكوبالية الذين اقترحوا على المجلس رفض معاهدة لوزان قائلين : إن الرأي الأمريكي العام معارض لاستئناف علائق ولائية مع أمة غير مسيحية : وقد كتب السناتور بوراه الى الاسقف « ماين » كبير أساقفة الكنيسة المشار اليها كتابا نولت جريدة « البيان » الامريكية العربية ما يلي :

« أعترف مع الشكر وصول الاحتجاج الذي حمل توقيعك وتواقيع ١٠٩ أساقفة آخرين ضد الموافقة على معاهدة لوزان التي حسبما أعتقد سوف تطرح للبحث والنظر قريباً وأنا أشعر بوجوب بذل الجهد لجعل إجازتها أمراً مقرراً ومعلوم أن هنالك أسبابا عديدة مهمة توجب إجازة تلك المعاهدة حسبما يبدو لي، ولكني لو كنت طالبا آراء الا خرين في شأنها لكان من الواجب علي ابداء مزيد الاحترام لآراء الامريكيين المقيمين في تركيا ولهم فيها مصالح مختلفة قبل غيرهم . فهم بجملتهم حسبما علمت يشيرون بوجوب إجازة تلك المعاهدة

« إن مصالحنا الدينية والتهذيبية والتجارية كلها متحدة ومجمعة على إجازة معاهدة مع تركيا علما منهم بأنها ضرورية لحمايتهم ، وما أورده من هذا القبيل هو من البراهين التي لاترد ولا تدفع . ولست أرى من الحكمة أو العدل على جانب الحكومة أن تهمل هؤلاء الناس وما لهم من المصالح المختلفة بدون معاهدة تحميهم ، أو بدون علائق ودية ، ومعاملات ولائية تتولد كما لايخفى عن مثل تلك المعاهدة وتتأيد بها

« ومما هو جدير بالذكر بهذه المناسبة أن كل الدول العظمى في العالم قد عقدن معاهدات مع تركيا ، والمعاهدة الامريكية التي هي الآن رهن النظر سوف تعمل على حماية مصالحنا الدينية والتهذيبية والتجارية اسوة ببقية الدول الاخرى ، فلا يكون مجال للقول بأن مصالح الولايات المتحدة غير محمية ، أو غير حاصلة على العناية التي نالتها مصالح الامم الاخرى . ويكون من الحماقة أن نقف وحدنا و أبى عقد معاهدة لأننا لم نحصل على شروط أفضل من التي حصلت عليها بقية الامم فاذا أهملنا ذلك نعرض مصالحنا في كل تركيا للأخطار

« وإذا قيل أن من الواجب الحصول على معاهدة أفضل من هذه . أقول ان هذه المعاهدة هي أفضل ما نستطيع الحصول عليه في هذا الحين . فاذا عقدناها الآن تكون حسبا اعتقد وسيلة الحصول على أحسن منها في المستقبل . وأما قطع العلائق بالكلية فلا يكون منه نفع . ذلك فضلا عن أن كل ما احتوته هذه المعاهدة موافق للمسيحية [illegible] فإن هذه المعاهدة لا توافق على الماضي ، ولا تخالف المستقبل

وفي احتجاجكم تقولون بعدم استئناف علاقتنا الولائية مع دولة غير مسيحية وغير ثابتة ! فأنا ياحضرة الاسقف مانين استحسن أن تعمد حكومتنا الى إيجاد هذه العلائق الولائية مع كل الدول وكل الشعوب ، لانه برفضنا العلائق الولائية مع جميع الشعوب التي ترفض المسيحية . لا تكون حكومتنا تجري على خطة غير معقولة فقط . بل حسبا اعتقد أنها تكون تهمل الغرض العظيم من مفاد المسيحية في الشئون الدولية ، ألا وهو ايجاد علائق ولائية ليس فقط مع الدول المسيحية الاخرى ، بل بالاحرى مع غير المسيحية منها وذلك لكي تدنيها الينا بحيث تماس مع التعاليم المسيحية

« ثم هل يمكننا القيام بخدم فعلية لاتباعنا في تركيا ، أو هل نتوقع التمكن من التأثير على تكييف السياسة على انموذج انساني أو سياق ديني في ذلك الاقليم الخصوصي من العالم اذا نحن قطعنا العلائق مع ذلك الشعب وابتعدنا عن كل مايسهل لنا سبل التأثير النافع على شؤونه ، وانت تلفت نظري أيضا الى المذابح

التركية . فكانا نعرف هذه الامور جيداً ، ونأسف لوقوعها ، ونرغب في ازالتها أو تلطيفها في المستقبل على قدر الامكان ، ولكن كيف يتسنى ذلك لنا . بل كيف نتمكن من ايجاد تأثير انساني فعال لبلوغ ذلك القصد ؟

« أنا لا اعرف سوى طريقتين وهما اما قوة السلاح - وهو امر أرفضه باتاً - أو التوصل الى ذلك عن طريق الصداقة والموالاة والنفوذ الأدبي . ثم هل افهم من كتابكم مع الثلاثة والتسعة أساقفة انكم ترغبون في انشاء وطن قومي للارمن في تركيا وحماية ذلك الوطن بقوة السلاح ؟ وهل تريدون من الحكومة الامريكية استخدام الجيش والاسطول لايجاد ماترومونه من الصلاح والعدالة ؟ اريد أن اعتقد بأنكم لستم راغبين في شيء من ذلك . فالطريقة الوحيدة اذن هي ايجاد علائق ودية بالمعاهدة تخولنا حق البحث واستخدام وسائل الاقناع والزعامة الأدبية في ذلك السبيل

« أما قطع المعاهدات والعلائق السياسية الولائية فانه يعرض أتباعنا هناك للخطر الكبير ويعرض مصالحهم [illegible] فلا نعود قادرين [illegible] بغير القليل الذي نتمكن من القيام به [illegible] وعقد عقود القرض . والآن أعتقد بأن التركي قد تغير عما كان عليه بالكلية أو انقلب بطناً لظهر بين ليلة وضحاها ذلك لأن الشعوب لاتتغير كذلك . ولكننا نخطيء كثيراً اذا أنكرنا التقدم والرقي وغير ذلك من التطورات التي طرأت على تركيا والبادية في سائر أنحائها اليوم

ان الشعوب والدول تنزع عنها خصالها وتقاليدها ببطء كما يدل على ذلك المظهر المخيف البادي في اعمال الدول المسيحية التي من يوم تعلمت تلك الامثولة القاسية في الحرب العامة لاتزال مصممة على استخدام القوة بل لاتزال تخصص الملايين بعد الملايين لكي تبتدع وسائل قتالة وأدوات مدمرة تبغي بها إهلاك الشعوب المسيحية الاخرى وتدمير عمرانها ، وغيرخاف أن الحرب العامة لم تكن بوجه من الوجوه أفضل ما يمكن ايجاده من الامثولات النافعة لغير المسيحيين من شعوب العالم (بل بالحري كانت أمثولة رديئة)

« واعيد ماقد سبقت فقلته وهو اني أظن أن من باب الحكمة والدراية على

جانبنا أن نسعى في إيجاد علائق ولائية وتجارية مع كل الحكومات والشعوب وبعملنا هذا لست أقول اننا نكون موافقين على شكل تلك الحكومات أو على نظرياتهم من حيث طريقة تمدينهم أو مايفهمونه من حيث واجباتهم الاجتماعية وعلاقاتهم أو استحسان تاريخهم الماضي . بل أظن اننا في الجري على هذه الخطة نكون نسعى في ايجاد الأساس الحقيقي الوحيد للسلام : ووضع الدعائم التي على مثلها يجب أن يشيد بناء السلم المشمخر القوى

وازيد على ذلك ماأعرفه من انه لاتوجد طريقة أخرى ـ ماعدا طريقة القوة القاهرة ـ بها نتمكن من الاحتفاظ بعيابتنا ومقامنا الدولي والاحتفاظ بقوتنا بين الامم حسبما ينبغي . فلنا اذن نستخدم الطرق الفعالة الوحيدة العاملة للسلام المؤيدة للأشياء التي بها نتمكن في المستقبل من تغيير ماتريد تغييره

تنبيه واستدراك

وقع في ص ١١٩ وآخر س ٦ كلمة خريجي الازهر وهو غلط وصوابها متخرج في الازهر

وسقط من ص ١٢٥ س ١٨ بعد كلمة ما هو خير منه هذه الجملة (إلا كتب الحديث فهذه الكتب يزاد فيها ولاينقص منها)